جمعية الحد الخيرية
HIDD CHARITY SOCIETY
مملكة البحرين
25
1415
1993
الحد الخيرية

محطات رمضانية

ثلاثون محطة رمضانية .. تتضمن
وقفاتٍ تربوية.. ونفحاتٍ إيمانية.. وثماراً عملية

إعداد
أيمن الشعبان
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

محطات رمضانية

ثلاثون محطة رمضانية .. تتضمن
وقفاتٍ تربوية.. ونفحاتٍ إيمانية.. وثماراً عملية

إعداد
أيمن الشعبان
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

حقوق الطبع محفوظة
إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه مجانا بعد مراجعة المؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحطة الأولى

أهـــلاً رمضـــان

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، جَعلَ شهرَ رمضانَ موسماً للطاعات، وأفاضَ على الصائمينَ فيه من الخيرات، وشَرَّفَ أوقاتهُ على سائرِ الأوقات، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ خيرِ البريَّات، وعلى آله وصَحبهِ أولي الفَضلِ والمَكرُمات، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ المعاد، وبعد:

فهذه نفحاتٌ ووقفاتٌ.. عبارةٌ عن محطات، نَستنشقُ فيها نسائمَ الرحمات، ونَنهلُ من بستانِ رمضانَ شهرَ الخيرات، نَقطُفُ الثمارَ والأزهار، ليتجلى ما فيها من فوائدَ وعبرٍ وأسرار، علّنا ننالُ رضا العزيزِ الغفار، ونكونُ فيهِ من المرحومينَ الفائزينَ الرابحينَ المأجورينَ العتقاءِ من النار.

أيها الصائمون: نحييكم بتحية الإسلام .. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

ونبارك لكم شهرَكم، ونحمدُ الله سبحانه وتعالى أن أتمَّ علينا نعمةَ إدراكِ رمضان، كما نسألُهُ أن يجعلنا وإياكم فيه من المرحومينَ لا من المحرومين، وأن يوفقنا لمرضاته وطاعته.

مرحباً أهـلاً وسـهـلاً بالصيام ... يـا حبيباً زارنـا في كل عـــام
قـد لقينـاك بـــحـبٍ مُفعمٍ ... كـلُّ حـبٍّ في سـوى المـولى حرام
فاغفـر اللـهم ربـــي ذَنـــبَنا ... ثـم زدنـا مـن عطاياك الجِسَام

في هذا الشهرِ فرصةٌ بأن:

تُصارحَ نفسَك.. وتعيدَ ترتيبَ أولوياتِك.. وتكتشفَ مواطنَ الخيرِ في داخلِك..

في هذه الأيام احرص على أن:

تُجاهدَ نفسَك قدرَ استطاعتِك.. وتَغسلَ قلبَك قبلَ جَسدِك.. ولسانَك قبل يديك..

أيها الصائمون: شهرُ رمضانَ شهرُ الخيراتِ والبركاتِ والطاعاتِ، شهرُ القرآنِ والإيمانِ والإحسان، شهرُ التميُّزِ والتقوى والدعاء، وشهرُ الصبرِ والجودِ والعطاء، وشهرُ البذلِ والنفقاتِ والسخاء، شهرٌ مليءٌ بالمزايا والخصائصِ والأوصاف.

كنا بالأمسِ نودِّعُ شهرَ رمضانَ الماضي مَرَّ كلمحِ البصر، عامٌ مضى بأفراحه وأتراحِه، بآلامِه وآماله، وفي ذلك عبرةٌ وعِظةٌ بسرعةِ انقضاءِ الدنيا، ما يدفعُ العبدَ للجدِّ والاجتهادِ والمثابرةِ في اغتنامِ هذا الشهرِ المباركِ بكلِّ أوقاته التي لا تُعَوَّضُ.

كان أبو بَكرٍ الشِّبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل شهرُ رمضان جَدَّ فوق جِدِّ من عاصره ويقول: شهرٌ عظَّمه ربي فأنا أولُ من يُعظِّمُه.

إنَّ أنفعَ وأفضلَ ما يُستَقبلُ به هذا الشهرُ العظيم؛ التوبةُ الصادقةُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جميع الذنوب والمعاصي، وتطهيرُ القلب من الأدران، وتنظيفُه من المعاصي، وتنقيتُه من الآثام، وتصفيتُه من الآفات والأمراض التي عَلِقت به، من الغِلِّ والحسدِ والبغضاءِ والشحناءِ والتقاطعِ والتدابر.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

فلنُطهِّر قلوبَنا قبل موسم الحصاد، ولنغسلها بماء التوبة وثلج الإنابة وبَرَدِ الاستغفار، اللهمَّ بَاعِدْ بيننا وبينَ خطايَانا، كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ، اللهمَّ نَقِّنا من الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللهمَّ اغْسِلْ خطايَانا بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِذا تَابَ – أي القلبُ – من الذُّنُوب تخلصت قُوَّةُ الْقلب وإراداتُه للأعمال الصَّالِحَة واستراح الْقلبُ من تِلْكَ الْحَوَادِث الْفَاسِدَة الَّتِي كَانَت فِيهِ[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا عَزَمْتَ التوبةَ وصحَّت ونَشَأَت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإنَّ التائبَ من الذنب لا ذنب له[2].

فالسعيدُ الموفقُ من وُفِّقَ فيهِ لِلُزومِ الطاعات وهَجرِ المُحرماتِ، والحرصِ على تحقيقِ مرضاةِ ربِّ الأرضِ والسموات.

اللهم وفقنا لهداكَ واجعل عملنا في رضاك.

إلى أن نلقاكم أحبتَنا الأكارمَ في محطة جديدة، نترككُم في رعاية الله وحفظِه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٩).
(٢) الوابل الصيب ص١٢.

المحطة الثانية

رمضان جامع الأركان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أسعدَ اللهُ أوقاتَكم بكل خير وبركة وطاعة وسرور، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محطتُنا الثانيةُ نُسلِّطُ الضوءَ فيها على معنىً عظيمٍ لشموليةِ هذا الشهر الكريم، الذي اجتمعت فيه مهماتُ العبادات وأمهاتُ الطاعات ومنبعُ البركات.

إذ ميز الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الشهرُ الفضيل، بخصائصَ جَمَّةٍ وفوائدَ عظيمة، تعكسُ حقيقةَ وأهميةَ هذا الموسم، تتجلى من خلالها وتجتمعُ الأجور الكثيرة، مع مضاعفة الحسنات وتنوع الطاعات، إذ تجتمع فيه أركان الإسلام الخمسة.

فرمضانُ شهرُ التوحيد؛ إذ يظهرُ فيه التسليمُ التام لأحكام الله عَزَّوَجَلَّ، والانقيادُ الكامل والخضوع، مع ما فيه من مشقةٍ على النفس وتغييرٍ لنظام الحياة اليومي، واجتنابِ أصناف الحلال المباح في أوقات معينة.

وإخلاص الأعمال لله هو أصلُ الدين وعليه مدارُه، وهو التوحيد الذي أَرسلَ اللهُ به الرُّسُلَ وأنزل من أجله الكتب، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣] ، والصوم لا يقع فيه الرياء (بمجرد العمل) الناقض للإخلاص، لأنه لا يطَّلِع عليه إلا الله بخلاف سائر الأعمال، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جميعُ العبادات تظهر بفعلها، وقلّ أن يسلم مايظهر من شَوبٍ بخلاف الصوم.

الصلاة عمود الدين والركن الثاني من أركان الإسلام، حيث يجتمع المسلمون في صلاة قيام الليل من رمضان، لتقوية الصلة بالله عَزَّوَجَلَّ، لكن لابد من التصديق بوعد الله وثوابِه وتحقيق هذه العبادة، بما فيها من قراءةٍ وخشوعٍ ودعاءٍ وتضرعٍ وحُسنِ التجاء، مع ضرورةِ إخلاصِ النية وصدق الطوية، طلباً للأجر والثواب بعيداً عن مدحِ وثناءِ الناس، إذ يقولُ نبينا الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحتِساباً؛ غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ من ذنبه»(٣).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَة»(٤).

وقيل لأحمدَ بنِ حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ: يعجبك أن يصليَ الرجلُ مع الناس في رمضان أو وحده؟ قال: يصلي مع الناس.

وكان يقول: يعجبني أن يُصليَ مع الإمام ويوترَ معه.

يقول ابن الجوزي -رَحِمَهُٱللَّهُ- عن رمضان: شهرٌ جعله اللهُ مِصْبَاحَ الْعَام وواسطةَ النظام وأشرفَ قَوَاعِد الْإِسْلَام المشرفَ بِنور الصَّلَاة وَالصِّيَام وَالْقِيَام(٥).

ورمضان شهر الإنفاق والجود، من حيثُ الصدقاتُ أو زكاةُ المال المفروض، إذِ اعتاد كثيرٌ من المسلمين إخراجُها في هذا الشهر المبارك، لِتُوافِقَ شرفَ الزمان وتتضاعفَ الأجورَ ويحصلَ التآلفُ والتكافلُ بين المسلمين.

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»(٦).

---

(٣) أخرجه مسلم.
(٤) صحيح الجامع برقم ٢٤١٧.
(٥) بستان الواعظين ص٢١٥.
(٦) متفق عليه.

فنحن في شهر البذل والعطاء والجود والنفقات، في شهر النفوس السخية والأكف الندية، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾، وذكر أبو بكر بن أبي مريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر شهرُ رمضان فانبَسِطوا فيه بالنفقة فإن النفقةَ فيه مضاعفةٌ كالنفقة في سبيل الله(٧).

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحِبُّ للرَّجُلِ الزيادةَ في الجودِ في شهر رمضان اقتداءً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولحاجةِ الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغلِ كثيرٍ منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم(٨).

أما ركن الحج فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَإِنَّ عُمرةً في رمضان تَقضي حَجةً معي»(٩).

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو فضلٌ من الله ونعمةٌ فقد أدركتِ العمرةُ منزلةَ الحج بانضمامِ رمضانَ إليها.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه أنَّ ثوابَ العملِ يزيدُ بزيادةِ شرفِ الوقتِ كما يزيدُ بحضورِ القلبِ وبخلوص القلب(١٠).

اللهم تقبل صيامَنا وسائرَ طاعاتِنا وصالحَ أعمالِنا، وأثقل بها موازينَنَا يوم نلقاك.. اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٧) لطائف المعارف ص١٥١.
(٨) لطائف المعارف ص١٦٩.
(٩) أخرجه البخاري.
(١٠) مرعاة المفاتيح (٨/ ٣٠٧).

المحطة الثالثة

الصيام عبادة وليس عادة

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على عبده ومصطفاه، نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أسعد اللهُ أوقاتكم بالخيرات والطاعات، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

محطةٌ مهمةٌ ووقفة ضرورية، ينبغي استحضارُها واستذكارُها طيلةَ هذا الشهر الفضيل، بل وفي جميع الطاعات والصالحات، لأنها الفيصلُ في قبول الطاعة أو ردِّها.

صوم رمضان ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من فرائضه العظام، وعبادةٌ جليلة عظيمة، وقربةٌ وطاعة تختلف عن سائر العبادات والأعمال اختصها لنفسه ذي الجلال والإكرام.

الصيامُ عبادةٌ جليلة لها آثارٌ عظيمة ينبغي استشعارُها، وليس مجردَ الامتناعِ عن الطعام والشراب وبعضِ المباحات، بل هو سرٌّ بين العبد وربه، إذ فيه تزكيةٌ للنفس وتنقيتُها من الأخلاق الرذيلة، وطمأنينةٌ للقلب وانشراحٌ للصدر.

ينبغي استشعارُ حقيقةٍ مهمةٍ جدا؛ هي أنَّ الامتناعَ عن الطعام والشراب والنكاح عبادةٌ عظيمةٌ يحققها العبد في سره وعلانيته، خوفاً من الله ومراقبةً له وابتغاءَ مرضاته، لذلك يقول الله في الحديث القدسي: «يَترُكُ طعامَهُ وشرابَهُ وشهوتَهُ منْ أجْلِي».

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْبَاطِلِ، وَاللَّغْوِ، وَالْحَلِفِ(١١).

إنَّ تركَ الطعامِ والشرابِ وبعضِ المباحات في نهار رمضان، هو جزءٌ من الصيام لا الصومَ كلَّه، يقول ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ: أهونُ الصيامِ الصيامُ عن الطعام.

أخرج البخاري ومسلمٌ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وحتى يحققَ الصائمُ الأجرَ العظيمَ والثوابَ الجزيلَ والنفعَ العميم؛ فلابد من الإيمانِ والاحتسابِ، وهما مدارُ الفرقِ بين العادة والعبادة، «فإنما الأعمال بالنيات» ومن الأهمية بمكان استحضارُ النيةِ الصالحة لهذه الفريضة المباركة، وبخلافه يكون الصيامُ إرثاً وتقليداً ومحاكاةً وعادة، فلننتبه رعاكم الله.

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

وقال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للرجل أن تكون نيتُه بينَ يدي عَمَله(١٢).

وقال ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ: نيةُ المؤمنِ أبلغُ من عَمَلِه(١٣).

أيها الأحبة: شهرُ رمضان هو منحةٌ ربانيةٌ للأمة الإسلامية، ومحطةٌ من محطات مراجعة النفس والخَلوةِ مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وحسنِ الالتجاءِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصدقِ التضرع، فشتّانَ بين من يصومُ عن الطعام والشراب فحسب، ومن يحققُ تقوى الله

(١١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٧٢).
(١٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨).
(١٣) قوت القلوب (٢/ ٢٧٢).

ويبذلُ وُسعَه وجهدَه ويستغلُّ وقتَه ويجتهدُ في طاعة الله بعيداً عن الملهيات ومضيعة الأوقات، فلا تجعل من رمضان شهرَ نومٍ وكسلٍ وخمول!

أيها المباركون: لنعقدَ العزمَ من الآن، ولنُحدِّث أنفسَنا بأن نصومَ صيامَ مودِّعٍ، فلنُخلِص النيات ولنتجرد في أعمالنا وطاعاتنا لرب الأرض والسموات، عَلَّنا ننالُ الأجرَ والمثوبات ودخولَ الجنات.

نسألُ اللهَ العزيزَ أن يُعيننَا فيه على القيامِ والصيامِ وسائرِ الطاعات، وأن يتقبلَ منا ومنكم.

إلى أن نلقاكم مع محطةٍ جديدةٍ ووقفةٍ نافعةٍ مفيدة، نستودعكم الله الذي لاتضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة الرابعة

لعلكم تتقون

الحمد لله الذي أكرمنا بالتقوى وجمَّلنا بالعافية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، خيرُ مَن أُعطِي فشكر، واتقى وصبر، وصلى وصام واستغفر، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى من اقتدى به إلى يوم الدين، وبعد:

أيها الصائمون: أسعدَ اللهُ أوقاتَكم بالخير والبركة والتقوى والطاعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقفةٌ مهمةٌ ومحطةٌ لا غِنى لصائمٍ عنها، هي جوابٌ لسؤالٍ ينبغي طرحُه وتأمُّلُه في كل لحظةٍ من لحظات الصيام، بل على مدار هذا الشهر وفي جميع الأيام، ألا وهو لماذا نصوم؟؟

فمن آثار الصيام ونتائجه وأجلِّ معانيه وأنفعِها وأعظمِها تحقيقُ التقوى، كما بيَّن تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣]، هَذَا تَعْلِيلٌ لِكِتَابَةِ الصِّيَامِ بِبَيَانِ فَائِدَتِهِ الْكُبْرَى وَحِكْمَتِهِ الْعُلْيَا، وَهُوَ أَنَّهُ يُعِدُّ نَفْسَ الصَّائِمِ لِتَقْوَى الله تَعَالَى بِتَرْكِ شَهَوَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ الْمُبَاحَةِ الْمَيْسُورَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَاحْتِسَابًا لِلْأَجْرِ عِنْدَهُ، فَتَتَرَبَّى بِذَلِكَ إِرَادَتُهُ عَلَى مَلَكَةِ تَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَالصَّبْرِ عَنْهَا فَيَكُونُ اجْتِنَابُهَا أَيْسَرَ عَلَيْهِ، وَتَقْوَى عَلَى النُّهُوضِ بِالطَّاعَاتِ وَالْمَصَالِحِ وَالِاصْطِبَارِ عَلَيْهَا فَيَكُونُ الثَّبَاتُ عَلَيْهَا أَهْوَنَ عَلَيْهِ[١٤].

(١٤) تفسير المنار (٢/ ١١٦-١١٧).

التقوى أن تجعلَ بينك وبين عذاب الله وقايةً وحاجزاً وحجاباً، يمنعُك من الوقوع في الخطايا والمحرمات، ويُنجّيك من النار، وقال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التقوى: أن تعملَ بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصيةَ الله على نورٍ من الله تخاف عقابَ الله(١٥).

ولأهمية التقوى في رمضان وأنَّها من أعظم ثماره ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولَ آيةٍ من آيات الصيام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣]، وختم آخرَ آيةٍ أيضا بالتقوى بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٧].

فالصيام وسيلةٌ ناجعةٌ وطريقٌ قصيرٌ وسببٌ مهمٌّ ومقدمةٌ عظيمةٌ لتحقيقِ التقوى، التي تزيلُ الخوفَ والحزنَ وتجلب الأمانَ والأنسَ في الآخرة، والتقوى دافعٌ للعبد لعمل الخير واجتناب الشر.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ تَقْوَى الله بِصِيَامِ النَّهَارِ وَلا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى الله تَرْكُ مَا حَرَّمَ الله، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ الله، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ(١٦).

لو اجتهد المسلم في تحصيل فائدةٍ واحدةٍ هي تحقيق التقوى، في شهر رمضان وبذل جهداً كبيراً لذلك لكفاه فضلاً وشرفاً وثمرة! لأنه من لم يتق الله في رمضان ويتعاهد قلبَه ويوطِّن نفسَه، فمتى يفعل؟!!

(١٥) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٤).
(١٦) تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٣٠).

ومن أبرز علامات التقوى؛ تحرِّي الحلال واجتنابُ الحرام، والحرصُ على مرضاةِ الله والتسليمِ لأوامره بكل صغيرةٍ وكبيرة، والإخلاصُ والورعُ والزهد، والابتعادُ عن مواطن الشبهات، والصبرُ على البلاء، والرضا بالقضاء، وشكرُ النعماء.

ومن أهمِّ أَمَارات التقوى سيّما في هذا الشهر الفضيل؛ الحرصُ على الطاعات والمسارعةُ في الخيرات، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في وصف المؤمنين والصالحين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٦١].

كما أنَّ من علامات ضعف التقوى؛ الخوضَ مع الخائضين ومجالسةَ الغافلين، وطلبَ فضول الدنيا، وضياعَ الأوقات فيما لا طائل تحته، والاشتغالَ فيما لا يعنيك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

أيها الفضلاء: إلى أن نلقاكم مع محطةٍ جديدة، نتركُكم في رعايةِ الله وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلِّ اللهمَّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحطة الخامسة

من فضائل الصيام

الحمد لله ذي المنِّ والإنعام، والصلاة والسلام على من اصطفاه لتبليغ شرعه للأنام، فكان خيرَ من قام وصام، وعلى آله وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان على الدوام، وبعد:

أهلاً ومرحباً بكم وأسعدَ الله أوقاتَكم بكل خير ومحبة وسعادة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يتجدّدُ اللقاءُ معكم ومحطةٌ رمضانيةٌ جديدة، ونفحةٌ إيمانيةٌ تشحذُ الهممَ وتُقوِّي العزائمَ، وتدفع النفوسَ المؤمنةَ والقلوبَ الخاشعةَ لجنيِ الثمارِ والتخفيفِ من الأثقالِ والآثام والآصار.

لا توجد عبادةٌ نوَّع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها الأجرَ والفضيلة والثواب كالصيام، فكلُّ العبادات أَجرُها معلومٌ إلا الصيامَ اختصه الله جَلَّ وَعَلَا عنده، لأنَّ العبدَ عندما صامَ صامَ خالصاً لله، لصعوبة الرياء فيه.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ لَه إلَّا الصَّومَ، فإنَّهُ لي وأَنا أجزي بِه، ولَخُلوفُ فَمِ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ»(١٧).

يقول بعض العلماء: خُلوفُ فم الصائم أفضلُ من دمِ الشهيد، لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في دم الشهيد: «اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»، أما في الصيام قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَطْيَبُ عندَ الله من ريحِ المِسْكِ».

(١٧) متفق عليه.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الصومُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِها العبدُ من النَّارِ»[١٨].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير: شبَّه الصومَ به لأنه يحمي الصائمَ عن الآفات النفسانية في الدنيا وعن العقاب في الأخرى.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من صامَ يومًا في سبيلِ اللهِ، بعَّدَ اللهُ وجهَهُ عنِ النَّارِ سبعينَ خريفًا»[١٩].

أي: مسيرةَ سبعين عامًا، وهو مبالغةٌ في البعد عنها، والمعافاةِ منها.

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ولله عتقاءُ من النارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ»[٢٠].

أي في كلِّ ليلةٍ من ليالي رمضان، عتقاءُ كثيرون من النار لحرمة ذلك الشهر لعلك تكون من زمرتهم، نسأل الله أن يعتقَ رقابنا من النار.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَن خُتِمَ له بصيامِ يومٍ دخل الجنةَ»[٢١].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير: أي من خَتم عمرَه بصيام يومٍ بأن مات وهو صائم أو عقبَ صومِه (دخل الجنة) أي بغير عذاب.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث المتفق عليه: «مَن كان من أهلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ الرَّيَّانِ».

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على مسلم: قيل: لمّا كان في الصوم الصبرُ على العطش في الهواجر، سُمّي البابُ الذي يُدعى منه بثوابه على ذلك، وهو مشتقٌّ من الرِيّ.

---

(١٨) صحيح الجامع برقم ٣٨٦٧.
(١٩) متفق عليه.
(٢٠) صحيح الجامع برقم ٧٥٩.
(٢١) صحيح الجامع برقم ٦٢٢٤.

أيها المباركون: اعلموا رحمكم الله أن فضائلَ الصيام وفوائدَه وثمارَه وكنوزَه وأجورَه كثيرةٌ جدا لا تحصى، فهو سببٌ للتقوى ودخولِ الجنان والنجاةِ من النيران، وتكثيرِ الحسنات ورفعِ الدرجات ومحوِ الخطايا والسيئات، ويكفي في فضل الصيام على سائر العبادات، أن الله عز وجل خصَّه بأنْ أضافه إليه في الأجر والثواب.

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وسائر الطاعات، واجعلنا من المقبولين الفائزين بجنات النعيم، وأعتق رقابنا من النار، يا عزيزُ يا غفار.

نترككم في رعاية الله وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة السادسة

خير الشهور وتجارة لن تبور

الحمد لله الذي جعل شهرَ رمضان سيدَ الشهور، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ بعثه الله بالهدى والنور، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم النشور، وبعد:

حياكم الله في محطةٍ رمضانية جديدة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التاجرُ الرابحُ الحاذقُ الذي يستثمرُ موسمَ التجارة، بأفضلِ الأرباح وأعظمِها، بل ويستعدُ لذلك أتمَّ الاستعداد، لعلمه ويقينه بالعائدِ الكبير والربحِ الوفير في ذلكم الموسم.

ولمّا كان رمضانُ موسماً من مواسم الخيرات، وفعلِ الطاعات واجتنابِ المنهيات، كان لزاماً علينا استغلالُه أحسنَ استغلال، والاستفادةُ منه لتحصيل الأجر والثواب، وعدمُ تفويتِ هذه الفرصة، لأنه سريعُ الانقضاء وشيكُ الانتهاء.

قيل للأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك شيخٌ كبير، وإنّ الصيامَ يُضعِفُك، فقال: إنّي أُعِدُّه لسفرٍ طويل[٢٢].

هذا الشهر موسمٌ من مواسم الخيرات، وفعلِ الطاعات وكسب الحسنات واغتنام الأوقات، ولا ندري أيعود علينا أم لا؟ فطالما أمضينا الأعمارَ في اللهو والغفلةِ عن طاعة الله.

---

(٢٢) تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٢٣).

قال الحسنِ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ اللهَّ جعلَ شهرَ رمضانَ مضمارًا لخلقه يَسْتَبِقُون فيه بطاعتهِ إلى مرضَاتهِ، فسبق قومٌ ففازُوا، وتخلَّف آخرونَ فخابُوا، فالعجَبُ من اللاعِبِ الضَّاحِكِ في اليومِ الذي يفوزُ فيه المحسنونَ ويخسرُ فيه المبطِلُونَ(٢٣).

ولنتأمل يا رعاكم الله: عِظَمَ وأهميةَ هذا الموسمِ الكبير، من خلال تحفيزِ نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لصحابتِه الكرام في بداية رمضان، مخاطباً لهم مستنفراً جميع قواهم مستنهضاً هِممَهُم محفزاً إياهم، للاستكثار من بركاتِه وخيراتِه التي لا تُعد ولا تُحصى.

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسندٍ صحيح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ».

فرمضان موسمٌ قد لا يُعوَّض، وفرصةٌ قد لا تتكرر، وشهرٌ للاستزادة من جميع أنواع الخير والبر، لأنَّ النفوسَ مقبلة، والأجواءَ إيمانيةٌ أكثرَ من غيرها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الحديد:٢١].

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصحيح: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(٢٤).

---

(٢٣) روائع التفسير لابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩).
(٢٤) صحيح الجامع برقم ٧٥٩.

«يَا بَاغِيَ الخَيْرِ» أي يا طالبَ الثواب أقبل، هذا أوانُك، فإنك تُعطى ثواباً كثيراً بعمل قليل، وذلك لشرفِ الشهر، ويا من يَشرعُ ويَسعى في المعاصي تُب وارجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا أوان قبول التوبة[٢٥].

فما أرحمَ اللهَ بنا يا عباد الله: على الرغم من عصياننا وجهلنا وإعراضنا! إلا أن الله جل في علاه يُسَخِّر لنا مَلَكاً ينادي علينا شهراً كاملا «يا باغي الخير أقبل.. ويا باغي الشر أقصر».

أيها الأفاضل: لا تكونوا من أولئك القومِ الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان الذين قال فيهم بعض السلف: (بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان)، فاللهُ ربُّ رمضانَ وربُّ أشهرِ العام كلِّها .

إذا تأمّلنا ما في رمضان من مجالاتٍ متعددة وطرقٍ متنوعة لفعل الخيرات؛ لرأينا الفضلَ الكبير والخيرَ الوفير والمننَ الجزيلة والآلاءَ الجسيمة، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦].

ولاستثمار هذا الموسم والإكثار من الخيرات، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَمَّا رقيتُ الدَّرجةَ الأُولَى جاءَني جبريلُ فقال: شقِيَ عبدٌ أدركَ رمضانَ فانسلخَ منهُ ولَم يُغْفَرْ لهُ فقلتُ: آمينَ»[٢٦].

اللهم اجعلنا في هذا الشهر من الفائزين المرحومين، ولا تجعلنا من الخاسرين المحرومين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٥) شرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٥٧٦).
(٢٦) صحيح الأدب المفرد برقم ٥٠١.

المحطة السابعة

رمضان شهر القرآن

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتابَ ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل لمن اتقاه من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اتخذ القرآنَ طريقاً إلى ربه ومنهجا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى، وبعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في هذه المحطة الرمضانية الجديدة.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختص هذا الشهر بخصائصَ عديدة، وميَّزه عن غيره من الشهور بمزايا فريدة، منها إنزالُ القرآن، بل والكتب السماوية السابقة نزلت في رمضان كما ثبت في الحديث الصحيح.

وعندما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه بيانَ أعظم ميزةٍ لهذا الشهر قرنَه بإنزال القرآن فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥]، الشهرُ العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضلُ العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتملُ على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة(٢٧).

فَقِهَ السلفُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أهمية القرآن سيّما في شهر رمضان، فكانوا يقبلون عليه بِكُلِّيَتهم ويهتمون به تلاوة ودراسة وتدبرا، وإليكم بعض النماذج النيرة والصور المشرقة:

(٢٧) تفسير السعدي ص٨٦.

كان للشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في رمضان ستون ختمة، يقرؤها في غير الصلاة!! وعن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحوه.

وكان قتادةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُدرِّسُ القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوةُ القرآن، وإطعامُ الطعام.

وكان مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان يَفِرُّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وقد قرن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين الصيام والقرآن لتلازمِهما وترابطِهما فقال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفَّعَانِ»[٢٨].

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليلِهِ إذ الناسُ نائمون، وبنهارِه إذ الناسُ مفطرون، وبحُزنه إذ الناس يفرحون، وببكائِه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون[٢٩].

قيل لرجل: مَالِي لا أَرَاكَ تَنَامُ؟ قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَطَرْنَ نَوْمِي، مَا أَخْرُجُ مِنْ أُعْجُوبَةٍ إِلا وَقَعْتُ فِي غَيْرِهَا[٣٠].

(٢٨) صحيح الجامع برقم ٣٨٨٢.
(٢٩) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٨٨).
(٣٠) صفة الصفوة (٢/ ٥٢٨).

للقرآن أهميةٌ بالغة، تَعظُمُ في رمضان فهل من مشمِّرٍ ومستثمر تلك الفضائل؟!!

أيها الأكارم: ليكن هذا الشهر نقطةَ انطلاقٍ لتصحيحِ علاقتِنا مع كتاب ربنا، وليكن لنا فيه برنامجٌ متنوع، يتضمن التلاوةَ والحفظَ والمدارسةَ والتدبرَ مع معرفة المعاني، بحسب المتاحِ والمتيسر، بذلك سيكون لدينا برنامجٌ قرآنيٌ شاملٌ سنشعرُ بثمرته وقيمته لو تمَّ تطبيقُه في هذا الشهر المبارك شهرِ القرآن.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال بعضُهم: لي في كل جمعةٍ ختمة، وفي كل شهرٍ ختمة، وفي كل سنةٍ ختمة، ولي ختمةٌ منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد!

كم نحن بحاجةٍ لإعادةِ النظر، في علاقتنا مع القرآن، من حيثُ التلاوةُ ومعرفةُ المعاني والتفكرُ والتدبر والتأمل، ثم الانتفاعُ والتطبيق والعمل!

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما تدبُّرُه بحفظِ حروفهِ وإضاعةِ حدودِه، حتى إنَّ أحدَهم ليقولُ قرأتُ القرآنَ كلَّه، ما يُرى له القرآن في خُلقٍ ولا عمل[٣١].

اللهم اجعل القرآنَ ربيعَ قلوبنا وجلاءَ همومنا وذهابَ أحزاننا ونورَ صدورنا، اللهم علِّمنا منه ما جهلنا وذكِّرنا منه ما أنسينا وارزقنا تلاوتَه آناءَ الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(٣١) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٤).

المحطة الثامنة

رمضان شهر التميز

الحمد لله الذي خصنا بشهر الطاعات، وأجزل لنا فيه المثوبة ورفع الدرجات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمَكرمات، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد، وبعد:

أسعدَ الله أوقاتَكم بالطاعة والبركات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن لرمضانَ في ميزانِ الإسلام منزلةً خاصةً ومكانةً متميزة، بالإضافة إلى كونه ركناً أصيلاً من أركان الإسلام، فقد تميز عن غيره من الشهور والأيام، بكثرة الأجور والحسنات، وتحقيقِ الإيمان والروحانيات، وكثرةِ أعمال البر وفعل الخيرات، حتى تميز في العبادات والطاعات والأعطيات والمكرمات والثمرات، وسائرِ المزايا والصفات.

لذلك ينبغي أن يكون شهرُ رمضان متميزاً عن سائر الشهور؛ بالطاعة والعبادة وتلاوة القرآن وذكر الله وجميع أفعال الخير.

وحتى نحقق ذلك التميز ينبغي مراعاةُ أربعةِ أشياء:

الأول: لابد من التفريق بين التميز الإيجابي ووسائِله وطرقِ الوصولِ إليه، والتميزِ السلبي ومظاهرِه وأشكالِه، لتحقيق الأول واجتناب الثاني.

البعض يتَفنّن في رمضان بأصنافِ المأكولات وأنواعِ المشروبات، يصل إلى حد الإسراف والمبالغة، وكأنَّ رمضانَ شهرُ أكلٍ وشربٍ وتبذير، وهذا تميزٌ سلبيٌ مذموم! في الوقت الذي يُفترض أنه شهرُ عبادةٍ وطاعةٍ واقتصاد.

الثاني: من الضروري معرفةُ وفِقهُ ثمرةِ الصيام، والأثرِ المترتبِ عليه والنتيجةِ المرجوةِ منه؛ ألا وهي تحصيلُ التقوى وتحقيقُها، عندها سنحدد الهدف ونرسم البرامج بوضوح ونرتب الأولويات.

الثالث: أهميةُ استحضارِ أنَّ الصيامَ عبادةٌ وأنَّه بحاجةٍ للإخلاص والمتابعة، وليس مجردَ عادةٍ اعتاد عليه الناس متمثلاً بترك الطعام والشراب والملذّات.

فالصيام: اسْمٌ لِتَرْكِ جَمِيعِ الْأَكْلِ وَجَمِيعِ الشُّرْبِ وَقُرْبَانِ النِّسَاءِ مُدَّةً مُقَدَّرَةً بِالشَّرْعِ بِنِيَّةِ الِامْتِثَالِ لِأَمْرِ اللهِ أَوْ لِقَصْدِ التَّقَرُّبِ بِنَذْرٍ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ[٣٢].

الرابع: عدمُ الإكثارِ من الأمور التي ستقوم بها، وحدّد أَشياءَ ضمن القدرةِ والاستطاعة واحرص عليها.

فلنجعلِ الحصةَ الكبرى لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ من حيثُ التلاوةُ ويسيرُ الحفظ والتفسير والتدبر، ثم برنامجٌ عمليٌّ للدعاء والصدقة وذكر الله وصلة الرحم وتفقّد الآخرين.

وحتى تتميزَ لا تجعل يومَ صومِكَ ويومَ فِطرِكَ سواء:

عن هلال بن خباب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت ابنَ الحنفية يقول: (لِيَصُم سمعُك وبصرُك، ولسانُك، وبدنُك، فلا تجعل يومَ فِطرِكَ مثلَ يومِ صومِكَ، واتقِ أذى الخادم).

ومن طرق تميّزِ السلفِ التميزُ في الإفطار مع المساكين:

سُئل بعض السلف: لِمَ شُرِعَ الصيام؟ فقال: ليذوقَ الغنيُّ طعمَ الجوع، فلا ينسى الجائع.

---

(٣٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٥٤).

كان ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصومُ ولا يفطرُ إلا مع المساكين، فإذا منعه أهلُه عنهم لم يتعشَّ تلك الليلةَ، وكان إذا جاءه سائلٌ وهو على طعامه أخذ نصيبَه من الطعام وقام فأعطاه السائل، فيرجعُ وقد أكل أهلُهُ ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئا[٣٣].

وجاء سائل إلى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فدفع إليه رغيفين كان يعدُّهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما.

فرمضان شهر التميز بالقرآن والصلاة وكثرةِ ذكر الله والدعاء، والبذلِ والنفقات والجود والعطاء، والصبرِ وتحمل المشاق والعناء، والاستقامةِ وحفظ القلب واللسان ومخالفةِ الأهواء، واجتماعِ الكلمة والمحبة والتآلف والإخاء.

وعليه فليكن هذا الشهرُ نقطةَ انطلاقٍ للتميز في سائر الشهور والأيام، فرمضان فرصةٌ للتأهيل والتدريب على: التميز في العبادات والأخلاقيات والتربويات والإيمانيات والاجتماعيات والاقتصاديات والصحيات وغيرها من جميع جوانب الحياة.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يتقبل منا ومنكم صيامنا وقيامنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٣٣) لطائف المعارف ص١٦٨.

المحطة التاسعة

الصوم وإصلاح النفوس

الحمد لله الذي أنار النفوسَ بطاعته، وعظَّمها فأقسم بها لترقى في منازل جنته، والصلاة والسلام على من أرسله الله معلِّماً ومزكِّياً للنفوس خيرتَه من خلقه، وعلى أصحابه وأهل بيته، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

أسعدَ الله أوقاتَكم بالخير والمودة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مع محطةٍ جديدة ووقفةٍ مهمة من محطاتنا الرمضانية، نسأل الله أن ينفعنا وجميع المسلمين بها.

إنَّ إصلاحَ النفوس والسعيَ إلى تزكيتها بالإيمان والعمل الصالح، وتنقيتِها من أدران الشرك والآفات والمعاصي والرذائل، والارتقاءِ بها في سلم السمو الأخلاقي والسلوكي؛ من أعظم المنافع والثمار والحِكم والآثار المترتبة على تلك العبادة العظيمة.

شهر رمضانَ وما فيه من عبادةِ الصيام، أعظمُ فرصةٍ لمعاهدة النفس وتزكيتِها وتنقيتها وإصلاحها، لما يترتب على ذلك من الفلاح قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس: ٩-١٠]، كما أنَّ مجاري الشيطان في الإنسان تضيق بسبب قلة الطعام، ويحصل للنفس إقبالٌ على كل ما يطهرها وينقّيها.

قال عليه الصلاة والسلام: «الصَّومُ جُنَّةٌ»(٣٤).

(٣٤) صحيح الجامع برقم ٣٨٦٥.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النهاية: معنى كونِه جُنَّة، أنّه يقي صاحبَه ما يؤذيه من الشَّهوات.

إنَّ تَرك الصائم أَحبَّ الأشياءِ إليه من الطعام والشراب وسائر المفطرات، لَوَسيلةٌ عُظمى وطريقةٌ كبرى لتزكية النفس وتهذيبها وكَبح جِماحها، ومَنعِها من حظوظها وأهوائها وشهواتها؛ قربةً وطاعةً ومحبةً لله وامتثالاً لأمره، يشير لذلك قول ربِّنا في الحديث القدسي: «إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي».

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصيام: هُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا إِيثَارًا لِمَحَبَّةِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ(٣٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣](٣٦).

(٣٥) زاد المعاد (٢/ ٢٧).
(٣٦) زاد المعاد (٢/ ٢٨).

وقد أوضح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ الصومَ وسيلةٌ لضبطِ النفس عن هَيَجانها، وتحجيمِها وإطفاءِ نارِ شهواتها، وتضييقِ مسالك الشيطان من وساوسها، إذ يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري ومسلم: «يا معشرَ الشبابِ! من استطاع منكم الباءةَ فليتزوجْ، فإنه أغضُّ للبصرِ، وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطعْ فعليه بالصومِ، فإنه له وجاءٌ».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأرشدَهم إلى الدواء الشافي الذي وُضِعَ لهذا الأمر، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسرُ شهوةَ النفس ويُضيّقُ عليها مجاري الشهوة فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يُضيِّق عليها ذلك فيصير بمنزلة وِجَاءِ الفَحلِ، وقلّ من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت[٣٧].

الصوم مدرسةٌ في تزكية النفس وصفائها وانشراح الصدر وطمأنينته وارتقاء الروح وسُمُوِّها.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليُّها ومولاها.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٣٧) روضة المحبين ص٢١٩.

المحطة العاشرة

رمضان شهر العبادات لا المأكولات!

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى سبحانه هو أمات وأحيا، وأضحك وأبكى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتفى، وبعد:

أحييكم بتحية الإسلام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبا بكم مع وقفةٍ جديدة ومحطةٍ نافعة مفيدة، من محطاتنا الرمضانية.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل المدخلَ لهذا الشهر الفضيل، تركَ المباحات التي اعتاد عليها المسلمُ بشكل يومي في حياته الطبيعية، من الطعام والشراب والملذات، كإشارةٍ وعلامةٍ للدخول بهذا الموسم، إلا أنَّ الغايةَ والثمرةَ ينبغي أن تتركز على غذاء الروح والقلب لا البدنَ والجسد!

كثيرٌ من المسلمين يَنصَبُّ اهتمامُهم باستقبال شهر البركات والخيرات والعبادات؛ بأصنافِ المأكولات والمشروبات، حتى تستغرقَهم وتصرفَهم عن الطاعات والاستزادةِ من كنوزه والثمرات، مع أَنَّ الحكمة من الصيام ليست مجردَ تركِ الطعام والشراب في النهار ليُعَوِّضَها ليلا بشكلٍ مبالغٍ فيه، بل بعضهم ينتقمُ بطعام وشراب الليل من صيام النهار، غيرَ مكترثين ما يجره عليهم من أضرارٍ وكسل وسوءِ عاقبة.

من أسوأ العادات التي ينبغي اجتنابُها في رمضان – بوجهٍ خاص- وغيره من الأوقات عموما؛ الاهتمامُ الزائدُ والتركيزُ فوقَ الطبيعي، على أنواعِ وأصنافِ المأكولات

والمشروبات قبلَ وأثناءَ رمضان، وكأنّهم مقبلون على أيامِ قحطٍ وجوع، فتجد الإسرافَ والتبذير، والتفننَ بأصنافِ الأطعمة وأنواعِ الحلويات والادخارَ ومِلءَ الموائدِ إلى حدِّ الشَّرَه والتبذير والنَّهم!!

يقول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

يُذكر أنّ الرشيدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له طبيبٌ نصرانيٌّ حاذقٌ فقال لعلي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلمُ علمانِ: علمُ الأديان وعلمُ الأبدان، فقال له علي: قد جمع اللهُ الطبَّ كلَّه في نصف آية من كتابنا[٣٨]، يشير إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[الأعراف: ٣١].

وقد أخطأ من ظنّ وفهم أَنَّ رمضانَ شهرُ المنافسة في الأطعمة في الليل، بسبب ترك ما يباحُ منها في النهار! بل من أسمى معاني هذا الشهر هو الاقتصادُ والحميةُ والتقشفُ والزهدُ وترشيدُ النفقات، والتقليلُ من المطعومات التي تؤدّي لتضييق مجاري الشيطان في الدم، وبالتالي ينشط العبد في طاعة الله معظم ساعات اليوم، فرمضانُ شهرُ غذاءِ الروحِ والقلوبِ لا تخمة الأبدان والأجساد.

وبحسب بعض الدراسات فإنّ نسبةَ الاستهلاكِ الغذائي في رمضان تصلُ في بعض الدول العربية إلى ثلاثةِ أضعافِ ما تستهلكه في الشهور العادية!

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بيانِ أَنَّ الغايةَ من الصيام ليست تركَ الطعام والشراب فحسب: «مَن لَم يدَع قَولَ الزُّورِ والعمَلَ بِه والجَهلَ، فليسَ للهِ حاجَةٌ أن يدَعَ طعامَه وشرابَهُ»[٣٩].

(٣٨) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).
(٣٩) أخرجه البخاري.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ، مُفْسِدَةٌ لِلْجَسَدِ، مُوَرِّثَةٌ لِلسَّقَمِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ، فَإِنَّهُ أَدْنَى مِنَ الإِصْلاحِ، وَأَبْعَدُ مِنَ السَّرَفِ، وَأَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ(٤٠).

وفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ: يَا بُنَيَّ إِذَا امْتَلَأَتِ الْمِعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ، وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ(٤١).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا، فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا، فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا، فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا(٤٢).

يقول الزعيم الإسلامي الهندي شوكت علي بعد أن زار إحدى الدول العربية في شهر رمضان عام ١٩٣١م، ورأى موائدَها الحافلةَ بصنوف الطعام: إنَّ فُتاتَ موائدِ تلك الدولةِ كفيلٌ بأن يملأَ بلادَهم بالمساجد والمدارس والملاجئ والمستشفيات.

فكيف لو رأى موائدنا هذه الأيام والله المستعان!!

اللهم احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك، وأعنا على أنفسنا، ووفقنا لمرضاتك.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(٤٠) الجوع لابن أبي الدنيا ص٧٢.
(٤١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٨٨).
(٤٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٨٦).

المحطة الحادية عشر

رمضان شهر الدعاء

الحمد لله مجيبِ الدعوات وكاشفِ الكربات، والصلاة والسلام على خير البريات نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم المعاد، وبعد:

أسعد الله أوقاتكم بالخير والبركة والطاعة والمسرات، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

من فضائل هذا الشهر أن الدعاءَ مستجابٌ فيه، فالصائمُ منكسرٌ قلبُه ضعيفةٌ نفسه، مُقبلٌ ومتذللٌ وخاضع ومفتقرٌ لله تعالى، وهذه كلها من موجبات قبول الدعاء.

ومن معاني هذا الشهرِ العظيم وخصائصه، أنه شهرُ الدعاء، حيث وردت آيةُ الدعاء في ثنايا آيات الصيام، بل وردت بطريقة السؤال والجواب، وفي ذلك تنبيهٌ للأذهان وإشارةٌ إلى الاهتمام بها، ولفتٌ للأنظار إليها، مع أنه سبحانه في جميع الآيات التي فيها سؤالٌ للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاءت بصيغة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، أما الآية التي معنا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

الآيةُ تشير لأهمية عبادة الدعاء، وتزدادُ قيمتُها والاهتمامُ بها في شهر رمضان المبارك، بدليل ذِكرِها ضمنَ آيات الصيام، كما أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»(٤٣).

(٤٣) صحيح الجامع برقم ٣٠٣٠.

فالدعاء عبادةٌ؛ لأنَّه تذلُّلٌ وخُضوعٌ وافتقارٌ والتجاءٌ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهو حبلٌ متين وكنزٌ ثمين، وعروةٌ وُثقَى وصِلةٌ ربانيَّة، وسلاحُ من لا سلاح له.

كان يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إلهي أسألُك تذلُّلاً، فأعطني تفضُّلا.

وقد جعل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الدعاءَ هو العبادةُ كلُّها إذ يقول: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ»(٤٤)، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»(٤٥).

أيها الصائمون: إن الله سبحانه وتعالى يحب من العبد كثرةَ السؤال والدعاء، بل والإلحاحَ بذلك، والله يرضى عن العبد كثيرَ الدعاء، بل يغضبُ على من يزهدُ في الدعاء، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ»(٤٦)، وفي رواية: «مَنْ لمْ يَدْعُ اللهَ يَغْضَبْ عليهِ»(٤٧).

وحتى نتميزَ في هذا الشهر بهذه العبادة الجليلة، ينبغي استثمارُ أوقاتِه بالدعاء، وانتقاءُ مواطنِ الإجابة، مع أهميةِ استحضارِ القلبِ والانكسارِ بين يدي الله، والأخذِ بأسباب استجابةِ الدعاء، وأن تخلي بالله في أوقات يسهو فيها الناسُ ويلعبون وهم غافلون عن تلك الطاعة، وأنسبُ موسمٍ وأفضلُ وقتٍ لتأهيل النفس وترويضها على ذلك هذا الشهر الكريم فتأمل.

قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال: دعوةٌ صادقةٌ من قلب صادق.

---

(٤٤) السلسلة الصحيحة برقم ١٥٧٩.
(٤٥) صحيح الجامع برقم ٣٤٠٧.
(٤٦) صحيح الجامع برقم ٢٤١٨.
(٤٧) السلسلة الصحيحة برقم ٢٦٥٤.

وصاحبُ الهمة والموفقُ من وفقه الله للدعاء دون النظر والتدقيق في الإجابة، فالمطلوب منك الدعاءُ، والله عَزَّوَجَلَّ يتولى الإجابة، يقول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إني لا أحملُ همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا أُلهِمتُ الدعاءَ فإن الإجابة معه.

ومن رحمة الله بعباده، أن جعلَ لهم دعوةً مستجابةً في كل يوم وليلة من رمضان أي على مدار أربع وعشرين ساعة ليس وقتَ الإفطار فحسب، وهذا فضلٌ عظيمٌ من رب العالمين، فلماذا التحجيرُ والاقتصارُ على دقائقَ معدودةٍ في تحري الدعاء!! ففضل الله واسعٌ ونِعَمُهُ سابغة.

فقد ثبت في حديث صحيح عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنه قال: «إنَّ لله تعالى عتقاءَ في كل يومٍ وليلةٍ، لكل عبدٍ منهم دعوةٌ مُستجابةٌ»(٤٨).

وللدعاء ثمارٌ عديدةٌ ومنافعُ فريدة، وتأثيره عجيبٌ وسهمهُ سديد، في كشفِ الضرِّ ودفعِ البلاء وجلبِ النفع، بشرط الاستحضارِ وعدمِ الاعتداء وتحقيقِ شروط الاستجابة.

اللهم تقبل صيامَنا وقيامَنا وسائرَ أعمالِنا، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٤٨) صحيح الجامع برقم ٢١٦٩.

المحطة الثانية عشر

رمضان شهر التغيير

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أسعد الله أوقاتكم بالطاعة والخير والمسرات، وأُحَيِّيكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في هذا الشهر فضائلُ عظيمةٌ تدعوك لتغيير نسقِ حياتِك والروتين اليومي قبل ذلك، فأبواب الجنان تُفتح، وأبواب النيران تُغلق، وتُصَفَّدُ الشياطين، وللصائم دعوةٌ لا ترد، ومن قام وصام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، وإقبال باغِي الخير، وليلةُ القدر، والإقبالُ على تلاوة القرآن، والبذلُ والإنفاق، والصبرُ على الطاعة وعن المعصية.

في شهر رمضانَ تتغيرُ أحوالُ المسلم في نظام حياته الدينية والدنيوية، فطاعتُهُ تزدادُ وصدرُه ينشرحُ ونفسُه تسمو وقلبُه يَطمئن، ونظامُ نومِهِ وأكلِهِ وعملِهِ وزياراتِهِ وعلاقاتِهِ كلُّها تتغير، بذلك يصبحُ هذا الشهر بمثابة دورةٍ تدريبيةٍ ومعسكرٍ تأهيلي، لمن استشعر واستثمر حقيقةَ التغيير، لترك كثيرٍ من العادات السيئة والأخلاقِ الذميمة، والارتقاءِ في سُلّم الطاعة، وإعادةِ النظرِ في كثيرٍ من السلوكيات والتعاملات.

رمضان فرصةٌ عظيمةٌ للتغيير وموسمٌ مهمٌ للانطلاق، لأنه تجتمعُ فيه من العوامل المساعدة ما لا تجتمع في غيره، ففيه جميعُ المحفّزات والخروجُ عن المألوف

وتكرارُ الطاعات، إذ يُلزِم المسلمُ نفسَه بأمورٍ إيجابية لم يكن يفعلُها من قبل، كقيام الليل والإقبالِ على تلاوةِ القرآن وكثرةِ النفقات والصدقات وغيرها من أعمال البر.

أضف إلى ذلك العواملَ المساعدةَ لكبحِ جماحِ النفس الأمّارةِ بالسوء، وانعدامَ وسوسةِ الشيطان وتضييقَ مجراه في دمِ ابنِ آدم، فإمكانيةُ التغلبِ على الشيطان والنفسِ الأمارة بالسوء؛ حافزٌ كبيرٌ ودافعٌ هامٌ جدا لتحقيق التغيير.

لكنّ السؤالَ هنا عن أيِّ تغييرٍ نبحث؟!! والجميعُ يلهثُ ويصرخُ بالتغيير، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وكذلك إذا غيَّر العبادُ ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غيّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة.

لا تقل: من أين أبدأ ... طاعةُ الله البداية
لا تقل: أين طريقي ... شرعةُ الله الهداية
لا تقل: أين نعيمي ... جنةُ الله كفاية
لا تقل: في الغد أبدأ ... ربما تأتي النهاية

فالتغييرُ لا يكونُ بالآمالِ والأماني والأحلام والأوهام والدعاوى، إنما بالنيةِ الصالحةِ الصادقةِ الخالصة، والعزيمةِ القويةِ والإرادةِ الحقيقية، وَالعملِ الجادِّ الدؤوب، لما فيه صلاحُ النفس والاستقامةُ على طاعة الله، والارتقاءُ بالإيمان لأعلى المراتب، لأنّ حقيقتَه ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال.

ترجو النجاةَ ولم تسلُك مسالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رمضانُ ما هو إلا فترةُ راحةٍ وهدوء، يعبُرُ المؤمنُ من خلالها إلى مراقي الصعودِ في درجاتِ الإيمان، فمن استفاد من هذه الفترةِ في إصلاحِ حالهِ وتجديدِ إيمانِهِ ومراجعةِ نفسه، فقد وجدَ للتغيير طريقًا.

إنّ معادلةَ التغييرِ الإيجابي ترتكزُ على ثلاثةِ أمورٍ، كلُّها متوافرةٌ ومهيئةٌ للعبد في هذا الشهر الكريم:

أولا: مراجعةُ العبدِ ذاتَه وتقييمَه لنفسه وتشخيصُ أمراضه.

ثانيا: مصارحةُ النَّفسِ وَوَضعِ خطةٍ واضحة للتغيير.

ثالثا: المحاسبة المستمرة، مع الهمة والعزيمةِ نحو الأفضل.

وكل هذه لن تتحققَ إلا بطلبِ العون من الله والتضرعِ إليه والدعاءِ، فإنها من أقوى المعينات.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسنِ عبادتك، نترككم في رعاية الله وحفظه على أمل اللقاء بكم مع محطة جديدة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحطة الثالثة عشر

رمضان شهر الصبر

الحمد لله الذي هدانا لأقومِ سبيل، وشرع لنا الدينَ القويم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وفَّق مَن شاء من عباده إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

من معاني هذا الشهرِ العظيم وما فيه من خيرٍ جسيم، أنه شهرُ الصبر، إذ يُوَطِّن الصائمُ نفسَه على اجتناب ما يحبه من طعام وشراب نهارا، مع إصراره على اجتنابِ الشهوات والمحرمات والصبرِ عليها، وعلى أداء صلاة القيام ليلا، حتى يصبحَ الصبرُ لديه مَلَكَةً وصفةً ملازمة.

لم يتصف هذا الشهرُ بصفةٍ تضاف إليه، إلا أنَّه (شهرُ الصبرِ) لأهمية هذه العبادة ومكانتِها، إذ يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ»(٤٩).

ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «صوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلاثَةِ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ»(٥٠).

وَحْرُ الصدرِ أي: وساوسُ الشيطان وما يُصيبُ قلبَ الإنسان من غيظٍ وكَدر.

---

(٤٩) صحيح الجامع برقم ٣٨٠٣.
(٥٠) صحيح الجامع برقم ٣٨٠٤.

إن أفضلَ موسمٍ وأنسبَ وقتٍ، لتأهيل النفس وتدريبِها على الصبر، في هذا الشهر المبارك، لما فيه من معاني تحققُ هذه الثمرةَ بشكلٍ يومي، تتمثل بعدةِ أشكال منها:

- تركُ محبوباتِ النفسِ نهاراً من الطعام والشراب والصبر عليها.

- الصبرُ على تنوُّعِ العبادات، من صلاةٍ وصيامٍ وتلاوةِ قرآن وصدقة.

- حفظُ اللسان وعدمُ إطلاقِ العنانِ له، ولو سابَّك رجلٌ أو قاتلك فلتقل« إِنِّي امرُؤٌ صائِم».

- مجاهدةُ النفسِ على تركِ المحرماتِ والخطايا.

- الصبرُ على مشقةِ الطاعة، لما فيها من أجرٍ كبيرٍ وثوابٍ جزيل.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما رُزِقَ عَبدٌ خَيرٌ لَهُ وَلا أوسَعُ مِنَ الصَّبر»(٥١).

إذن الصبرُ رزق، فإذا وطَّنتَ نفسَك بتأهيلِها وتعويدِها على تحمُّلِ المشاق والصبرِ في هذا الشهر، وديمومةِ ذلك بعده فإنكَ قد اكتسبتَ رزقاً عظيماً قَلَّ من يُرزَقُه!

والصبرُ منعُ النفسِ محابَّها وكفُّها عن هواها. وعرَّفه آخرون بأَنَّه: حبسُ النفس عن الجزع، والتَسخُّطِ، وحبسُ اللسانِ عن الشكوى، وحبسُ الجوارحِ عن كلِّ فعلٍ مُحرَّمٍ كلطمِ الخدودِ وشَقِّ الجيوبِ والدعاءِ بالويل والثبور.

والصبرُ ثلاثةُ أنواع:

١- صبرٌ على طاعة الله. ٢- وصبرٌ عن معصية الله. ٣- وصبرٌ على أقدارِ الله المؤلمة.

---

(٥١) صحيح الجامع برقم ٥٦٢٦.

يقول عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حَسَنٌ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ الصَّبْرُ عَنْ محارم الله(٥٢).

قيل للأحنف في شهر رمضان: إنّك شيخٌ كبير، وإنّ الصومَ يَهِدُّكَ، فقال: إنَّ الصبرَ على طاعة الله أهونُ من الصبر على عذاب الله.

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْخَيْرِ، لَا يُعْطِيهِ الله إِلَّا لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عَلَيْهِ(٥٣).

الصبرُ والصيامُ يشتركان في ثمرةِ الجزاءِ والأجر، فالصيام أجرُه غيرُ محدَّدٍ بِقَدَرٍ فهو عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، والصبرُ كذلك قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠]، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَا يَحْسِبُ عَلَيْهِمْ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ قَطُّ، وَلَكِن يُزَادُونَ عَلَى ذَلِكَ(٥٤).

قال سليمان بن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ عملٍ يُعرَفُ ثوابُه إلا الصبر.

فمن تَمَيَّز بتأهيلِ نفسهِ وتدريبها، على طاعةِ الصبرِ طوالَ هذا الشهر، واستقامَ بعدَه عليها يكونُ قد حاز خيراً كبيرا.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٥٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠٢).
(٥٣) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص٢٧.
(٥٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٩).

المحطة الرابعة عشر

رمضان شهر الاستقامة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالاستقامة على الدين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

لهذا الشهرِ العظيم ثمارٌ عديدةٌ ومزايا فريدة؛ من ذلك أنّه يعينُك على دوامِ الطاعة والاستقامةِ والإيمانِ، فإنَّ استثمارَ ثلاثين يوماً بعبادات وأعمالٍ صالحةٍ متنوعة، يوطّنُ النَّفسَ ويثبِّتُ القلبَ ويُسدِّدُ الجوارح، لأَن تَكونَ هذه صفاتٍ راسخةً ومَلَكَةً دائمةً بعدَ رمضان.

شهرُ رمضان شهرُ استقامةٍ وإيمانٍ وثباتٍ على دين الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥]، ففيه هدايةٌ وتسديدٌ وإذعان، فيزيدُ الإيمان وتتنوَّعُ عبادات القلب والأركان، من التقوى والصبرِ والذكرِ والدعاءِ والصدقةِ وتلاوةِ القرآن، فهنا هدايةٌ مضاعفة؛ هدايةُ القرآنِ وهدايةُ شهر رمضان فتأمل.

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثم اسْتَقِمْ»(٥٥).

(٥٥) أخرجه مسلم.

من ثمار شهر رمضان تكفيرُ السيئات ودخولُ الجنان، وهذا لا يتحققُ إلا بالاستقامة على أوامرِ العزيزِ الرحمن، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

ورُوِيَ عن عمر بنِ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠]، فقال: لم يروغوا روغانَ الثعلب.

وكان الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم أنت ربُّنا فارزقنا الاستقامة(٥٦).

حقيقةُ الاستقامةِ السدادُ والهدايةُ والتوفيقُ لما فيه مرضاةُ الله، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «سَدِّدُوا وقارِبُوا»(٥٧).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظمُ الكرامةِ لزومُ الاستقامة.

وأعظمُ ما يراعَى استقامتَه بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه تُرجمان القلب والمعبرُ عنه(٥٨)، لذلك يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الحديث الحسن: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٥٩).

من أخطرِ الأمراضِ المعاصرة؛ إقناعُ النفسِ بكمالٍ زائفٍ واستقامةٍ شكليةٍ وإيمانٍ ضعيفٍ هش!!

---

(٥٦) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٥٠٧.
(٥٧) متفق عليه.
(٥٨) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٢).
(٥٩) السلسلة الصحيحة برقم ٢٨٤١.

وقد ذَكَر الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه بَلَغَه عن القاسمِ بنِ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدرَكتُ الناسَ وما يُعجِبهم القول، إنما يُعجِبهم العمَل.

تتجلَّى معنى الاستقامةِ في هذا الشهر من خلال قولِه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ صامَ رَمَضَانَ، وأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ من شَوَّالٍ فكأنَّما صامَ الدَّهْرَ»(٦٠)، ما يشيرُ إلى ديمومةِ العملِ والاستمرارِ في الطاعة لما بعد رمضان.

فالاستقامةُ المطلوبةُ هي ثباتُ الإيمانِ وزيادتُه ودوامُ الطاعات والصالحات، وحقيقةُ الاستقامةِ لزومُ دينِ الله القويم، وسلوكُ صراطِهِ المستقيم، وعدمُ الانحراف عنه ذاتَ الشمال أو ذاتَ اليمين، والاستقامةُ تشمل النياتِ والأقوالَ والأفعالَ والأحوال، وجِماعُها وقوعُها لله وبالله وعلى أمر الله؛ لله في النيات والمقاصد، وبالله على أَيَّةِ حال، وعلى أمر الله في جميع الأقوال والأفعال.

وهنا لفتةٌ وقيدٌ مهم جداً في تحقيق أعلى درجات الاستقامة؛ وهي أن نستقيمَ على مراد الله لا على مرادِنا أو رغباتِنا أو عاداتِنا أو أعرافنا، فقد أمرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نبيَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين بالاستقامة الصادقة، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: ١٨٦].

اللهم يا مقلِّبَ القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وارزقنا الاستقامة على طاعتك، وتقبل منا صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(٦٠) صحيح الترغيب برقم ١٠٠٩.

المحطة الخامسة عشر

رمضان شهر البطولات

الْحَمْدُ لله كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ بفضلِهِ، ويُذِلُّ مَن يشَاءُ بِعدْلِهِ، وأشْهدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُهُ ورسُولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ في الأوَّلينَ، وصلَّى اللهُ عليهِ فِي الآخِرِينَ، وصلَّى اللهُ عليهِ فِي الملإِ الأَعلَى إِلى يومِ الدِّينِ، أمَّا بَعدُ:

أسعدَ اللهُ أوقاتَكم بالبركةِ والطاعةِ والسرور، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من مزايا وخصائصِ وأحوالِ ومعاني هذا الشهر العظيم، أنه شهرُ الانتصارات والبطولات والأحداث المهمات، التي غيَّرت مجرى التاريخ وأرست دعائمَ الأمنِ والرفعةِ والنصرِ لهذه الأمة، والمتأملُ في الذاكرة وأحداث التاريخ الإسلامي يجدُ ارتقاءً مُهِمًّا من ذلٍ إلى عز ومن ضعفٍ إلى قوة، فُصولُها المهمة وصورُها المشرقةُ وقعت في شهر العزة رمضان.

- في رمضانَ من السنةِ الأولى من الهجرة وقبلَ فرضِ الصيام، كانت سَرِيَّةُ «سيفِ البحرِ» بإمرةِ حمزةَ بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، في أولِ خروجٍ للمسلمين للدفاع عن حقوقهم وقتالِ مشركي قريش، إلا أَنَّه لم يحصل فيها قتال.

- في السابعَ عشرَ من رمضانَ في السنة الثانيةِ من الهجرة، حدثٌ من أهم أحداثِ

التاريخ ومعركةٌ فاصلةٌ قلبت الموازين؛ غزوةُ بدرٍ الكبرى ومعركةُ الفرقانِ التي سَطَّرَت أروعَ البطولات، والتي انتهت بالنصر الباهر للمسلمين، وهي أولُّ مواجهةٍ حقيقيةٍ بين المسلمين والمشركين.

- في الثالثِ والعشرين من رمضانَ في السنةِ الثامنةِ من الهجرة؛ فُتِحَت مكةُ بقيادةِ الرسولِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، في انتصارٍ من أعظمِ انتصارات المسلمين، وبشارةٌ عظمى بقيامِ دولةِ الإسلام، وإيذانا بغروب شمسِ الكفرِ والشرك، مع قمةٍ في الأخلاقِ النبوية الراقية ونموذجٍ رفيعٍ في التسامح والتواضع.

- في الثامنِ والعشرين من رمضانَ من السنةِ الثانيةِ والتسعين للهجرة فُتِحَت الأندلسُ على يدِ القائدِ البارع والمقاتلِ الفذ طارقِ بنِ زياد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- في رمضان سنة ٥٨٣هـ معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمهيدا لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين.

- في رمضانَ سنةَ ٦٥٨هـ معركةُ عينِ جالوتَ بقيادةِ سيفِ الدين قطز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصدُ الغزوِ المغوليِّ في عين جالوت قربَ الناصرةِ بفلسطينَ لتكون من أشهر المعارك الإسلامية.

- في رمضانَ سنةَ ٨٥٧هـ فُتِحَت القسطنطينيةُ على يدِ القائدِ العثماني محمدِ الفاتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- في السادسَ عشرَ من رمضانَ ١٢١٣هـ اندحارُ نابليون وهزيمتُه أمامَ أسوارِ عكا، وهو يقول: تحطمت أحلامي على أسوارِك يا عكا، سلامٌ عليكِ سلاماً لا لقاءَ بعده.

وهنالك العديدُ من الوقائعِ والأحداثِ والمعاركِ المهمة في تاريخ المسلمين، في شهرِ رمضانَ المبارك نكتفي بما أشرنا إليه كما يقال: يكفي القلادةَ ما أحاط بالعنق.

اللهم انصر دينَك وكتابَك وسنة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبادَك الصالحين، وإلى أن نلقاكم في محطة جديدةٍ نترككم في رعاية الله وحفظه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة السادسة عشر

رمضان شهر الاستسلام والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنَّ من أجلِّ معاني شهرِ رمضان؛ التجردَّ والاستجابةَ والاستسلامَ للعزيز الديان، فكما أنَّنا نسارعُ للإمساك عن أشياءَ مباحةٍ بالأصل، لأنَّ اللهَ حَرَّمها علينا لفترةٍ محددةٍ في هذا الشهر، كما أنَّ نظامَ الحياةِ والعادات اليومية تتغيرُ وتتبدل؛ كأوقاتِ الطعامِ والنومِ وتنوع العبادات.

شهرُ رمضانَ معسكرٌ تدريبيٌّ ومدرسةٌ تأهيلية، تُعين العبدَ على إتقانِ الاستسلامِ والإحسانِ في الطاعة والعبادة، وأن لا تخضعَ قلوبُنا وأنفسُنا وأبدانُنا، لعاداتٍ وتقاليدَ وأهواءٍ وقوانينَ دنيويةٍ وأحوالٍ طارئةٍ ومؤثراتٍ مخالفةٍ لشرع الله، فالصومُ الحقيقيُّ هو صومُ الروحِ والقلبِ والعقلِ والجوارحِ وانقيادُها لله عَزَّوَجَلَّ دونَ حَرَجٍ أو مللٍ أو كلل أو تلكؤ.

نحن بحاجةٍ لأن تصومَ جوارحُنا عن المحرمات وليس فقط بطونُنا عن المأكولات والمشروبات! يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا من جارحةٍ فِي بدن الْإِنْسَان إِلَّا وَيلْزمهُ الصَّوْمُ فِي رَمَضَان وَفِي غير رَمَضَان؛ فصومُ اللِّسَان تركُ الْكَلَام إِلَّا فِي ذكر الله تَعَالَى، وَصَوْمُ السّمع ترك الإصغاءِ إِلَى الْبَاطِل وَإِلَى مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُه، وَصِيَامُ الْعَينَيْنِ تركُ النّظرِ والغضُّ عَن محارم الله تَعَالَى[٦١].

(٦١) بستان الواعظين ص٢١٧.

ذمَّ أعرابيٌّ قوماً فقال: يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفواحش!

في إشارةٍ لعدم استفادتِهم من هذا الشهر الاستفادةَ المطلوبة، وتركِ الاستجابةِ والخضوعِ لعلام الغيوب.

يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال: ٢٤]، يأمرُ تعالى عبادَه المؤمنين بما يقتضيهِ الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: الانقيادُ لما أَمَرَا به والمبادرةُ إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتنابُ لما نهيا عنه، والانكفافُ عنه والنهيُ عنه(٦٢).

ارتباطُ دخولِ الشهرِ برؤيةِ الهلال، والبدايةُ بعزمِ النيةِ من الليلِ لصيامِ النهار، وفقَ آيةٍ كونيةٍ واضحةٍ وبرهانٍ جليٍّ للإيذان بالإمساك وهو الفجرُ الصادق، ثم نفطرُ عند غروب الشمس وغيابِ القرص، كل ذلك من معاني الاستسلامِ وسرعةِ الاستجابة، والدقةِ والانضباطِ في امتثالِ أوامر الله دون زيادةٍ أو نقصان.

تغييرُ نظامِ الحياةِ في رمضان، مع استحضارِ نيةِ الاستجابةِ والاستسلام؛ من علاماتِ الإيمانِ ودلالاتِ الخضوع للرحمن، دون اعتراضٍ أو بحثٍ بشكلٍ تفصيليٍّ بالحِكَم من جراء ذلك.

إنَّ اغتنامَ الفرصةِ في هذا الشهر، لتأهيلِ النفسِ وتطويعِها وتهيأةِ القلبِ وخضوعه، وجاهزيةَ الجوارحِ لامتثال أوامر الله بفعل الطاعات وترك المنهيات؛ ثمرةٌ عظيمةٌ وأثرٌ كبيرٌ من آثار حسنِ الاستسلام وطيب الاستجابة، لتكون دافعاً قوياً ومحفزاً كبيراً لديمومة هذه المنافع والفوائد.

---

(٦٢) تفسير السعدي ص٣١٨.

فلو حققنا هذه الثمرةَ في هذا الشهر، نكونُ قد وُفِّقنا لتحقيق المعنى الشموليِّ للإسلام، وهو الاستسلامُ والإذعانُ والانقيادُ لأمر الله تعالى، بالذل والحب والطاعة لله والرغبة والرهبة.

ومن الصور المشرقة في سرعة الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا(٦٣).

الشجاعةُ في الاستجابة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ(٦٤).

سرعة الاستجابة في المألوفات:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرَقْتُهَا(٦٥).

الفضيخُ: اسمٌ للبُسر إذا شُدِخَ ونبُذَ، وأما الزَّهْوُ فهو البُسْر والرطب.

اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٦٣) أخرجه مسلم.
(٦٤) أخرجه مسلم.
(٦٥) أخرجه البخاري.

المحطة السابعة عشر

رمضان شهر الإخلاص

الحمد لله العزيزِ الغفورِ، العليم بذات الصدور، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريك له الحليم الشّكور، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيّدَنا محمّدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

مع محطةٍ مهمةٍ وغايةٍ عظيمةٍ وأثرٍ كبير، من آثار هذا الشهر المعظم.

فمن أجملِ المنح، وأروعِ الأعطيات، وأغلى الدرر، وأنفسِ المعاني، التي يحققها الصائمُ في هذا الشهر الفضيل؛ الإخلاصُ لله سبحانه، الذي هو حقيقةُ الدين ومحورُ دعوةِ الأنبياء والمرسلين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[غافر: ١٤]، وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[اغافر: ٦٥].

الإخلاصُ هو حقيقةُ العبادةِ وروحُها، ولبُّ الدين، ومفتاحُ دعوةِ الرسل، ودرةُ القلوب، وسلعةُ المتقين، وغنيمةُ المخبتين، وتجارةُ العلماءِ الربانيين والعباد الزاهدين.

الصومُ هو العبادةُ الوحيدةُ التي خصَّها اللهُ لنفسه، فلا يدخلُها رياءٌ ولا يتخلَّلُها نفاق، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا رياءَ في الصوم، فلا يدخلُه الرياءُ في فعله، مَن صَفَّى صُفِّيَ له، ومن كَدَّر كُدِّرَ عليه، ومن أحسنَ في ليلهِ كُوفِئ في نهارِه، ومن أحسنَ في نهارِه كُوفئ في ليله، وإنما يُكالُ للعبد كما كال.

قد يُزَيِّنُ العبدُ صلاتَه ويتصنعُ للناس، وقد يتصدقُ وينفقُ ليقال: جوادٌ كريم، وقد يحجُّ سمعةً ونفاقا، بل قد يجاهدُ ليقالَ جريءٌ شجاع! إلا الصيامُ فلا يتخلَّلُه شيءٌ من ذلك، فهو إما صيامٌ خالصٌ لله، أو لا صيام!

فالصومُ يُعَلِّمُ الناسَ الإخلاصَ، ويدربُهم على اجتنابِ النفاقِ والرياء، ويوطِّنُ النفسَ على تعاهدِ الأعمال، ويحقّقُ للقلبِ مَلكةَ مدافعةِ الأمراض كالشهوات والهوى وحبِّ محمدةِ الناس والتفاخرِ والتكبر.

والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبلُ من الأعمالِ إلا ما كان خالصاً لوجهِه الكريم، موافقا لسنةِ نبيِّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].

قاصدين بجميع عباداتِهم الظاهرةِ والباطنةِ وجهَ الله، وطلبَ الزلفى لديه(٦٦).

ولأهميةِ الإخلاصِ وضرورتِه في حياة المسلم، يقول أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ مَقَاصِدَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَيَقْعُدَ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النِّيَّاتِ لَيْسَ إِلَّا، فَإِنَّهُ مَا أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَضْيِيعِ النِّيَّاتِ(٦٧).

الأمةُ الآنَ أحوجَ ما تكونُ إلى الإخلاص، إذ فيه بدايةُ طريقِ الخلاصِ والرفعةِ والتمكينِ والعزة، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بَشِّرْ هذه الأمّةَ بالسَّناءِ والدِّينِ والرِّفعةِ، والنَّصرِ والتمكينِ في الأرضِ، فَمَنْ عَمِل منهم عَملَ الآخرةِ للدنيا؛ لم يَكُنْ له في الآخرةِ من نَصيبٍ»(٦٨).

كم نحن بحاجةٍ في هذا الشهر لتوطينِ النفس على الإخلاص، والفرارِ من الرياء، وطردِ النفاق والخيانة والحقد والتباهي والتفاخر!

---

(٦٦) تفسير السعدي ص٩٣١.
(٦٧) المدخل لابن الحاج العبدري (١/ ٦).
(٦٨) صحيح الجامع برقم ٢٨٢٥.

والإخلاصُ: هو إفرادُ الحقِّ سبحانه بالقصدِ في الطاعة، وتخليصُ العملِ من الشوائب، وتصفيةُ الفعلِ عن ملاحظة المخلوقين، وهو التوقِّي من ملاحظةِ الخلقِ حتى عن نفسك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العملُ بغيرِ إخلاصٍ ولا اقتداءٍ كالمسافرِ يملأُ جرابَه رملاً يُثقِلُهُ ولا يَنفَعُه(٦٩).

قال بعض السلف: مَا نزلَ من السَّمَاءِ أعزُّ من التَّوْفِيق، وَلَا صعدَ من الأَرْضِ أعزُّ من الْإِخْلَاص(٧٠).

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعَظِّمُه النية، وربَّ عملٍ كبيرٍ تصغِّرُه النية.

وكان من دعاءِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اللهم اجعل عملي كلَّهُ صالحاً واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئا(٧١).

اللهم ارزقنا الإخلاصَ في القول والعمل، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٦٩) الفوائد ص٤٩.
(٧٠) التحبير شرح التحرير (١/ ٦٢).
(٧١) الجواب الكافي ص١٣٢.

المحطة الثامنة عشر

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

الحمد لله رب العالمين، واهبِ النعم والعطيات، أَمَرَ عبادَهُ بفعلِ الخيرات، والمسارعةِ إلى الطاعات، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١٨٦]، والصلاة والسلام على خيرِ البريّات، نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمكرمات، وبعد:

أسعد الله أوقاتَكم بالخيراتِ والمسراتِ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من المعاني العظيمةِ والخصائصِ الجليلةِ لهذا الشهرِ المبارك، أن الناسَ يتسابقون ويتنافسون فيه بأعمال البر والخيرِ والتكافلِ والإحسان، ما لا يكون في غيره من سائر الشهور، لأنَّ القلوبَ مُهيئةٌ ودواعِي الخيرِ متوافرة، كيف لا وينادي منادٍ: يا باغِيَ الخيرِ أقبل!

المتأملُ في حَثِّ النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تفطيرِ الصائمين وما يترتبُ عليه من الأجرِ العظيم، يجدُ حافزاً ودافعاً كبيراً في المسارعة إلى الخيرات، كما صح في الحديث أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ، مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»(٧٢)، وكذلك جُوده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الشهر منقطعُ النظير، إذ كان أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ، لَدلالةٌ عظيمةٌ وحثٌ كبيرٌ على البذلِ والعطاء والنفقة والسخاء، في شهر يظهرُ فيه الكرماءُ ويتسابقُ فيه الأتقياءُ الأصفياء.

(٧٢) صحيح الجامع برقم ٦٤١٥.

يقول العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا طريقَ للفلاحِ سوى الإخلاصِ في عبادةِ الخالق، والسَّعيِ في نفع عبيده، فمن وُفِّقَ لذلك، فله القَدَحُ المعلّى، من السعادة والنجاح والفلاح(٧٣).

رمضانُ شهرٌ اجتمعَ فيه الخيرُ والفضلُ كلُّه، إذ فيه النفحاتُ الإيمانيةُ والبركاتُ الربانية، وإقبالُ النفس وانشراحُ الصدر وطمأنينةُ القلب، لذا أذكركم أحبتي بوصايا نبويةٍ للمسارعةِ والمسابقةِ في بذلِ الخيرِ وفعلِ المعروفِ كلٌ بحسب استطاعتهِ وَوُسعهِ ومجاله.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ نَفَّسَ عن مسلمٍ كُرْبَة مِنْ كُرَبِ الدنيا؛ نَفَّس الله عنه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامَةِ، ومَنْ سَتر على مسلمٍ؛ سَتَرهُ الله في الدنيا والآخِرَةِ، والله في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العبدُ في عَوْنِ أَخيهِ»(٧٤).

في الحديث أصولٌ يتفرعُ منها العديدُ من أبواب الخير، لتشملَ حاجاتٍ مختلفةٍ لفئاتٍ متنوعة، بل تُعطي خياراتٍ للباذلين والمحسنين في وجوهِ الخيرِ وكذلك العاملين في المؤسسات الخيرية؛ للمساهمة في تلك القربات وقضاءِ الحاجات، والجزاءُ من جنس العمل، وازرع خيراً تجدهُ مثمرا، والتجارةُ مع الله أربحُ تجارة!

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ لله قَوْمًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا انْتَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»(٧٥).

فيه أنَّ البذلَ والعطاءَ ونفعَ العباد بأعمالِ الخيرِ المتنوعة، من أَجلِّ النِّعمِ على العبد وبقاؤُها وديمومتُها بشكرِها، وهذا لا يتحققُ إلا باستمرار المعروفِ للآخرين.

(٧٣) تفسير السعدي ص٥٧٦.
(٧٤) صحيح الترمذي برقم ١٤٢٥.
(٧٥) صحيح الجامع برقم ٢١٦٤.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «صنائِعُ المعروفِ تَقِي مصارعَ السُّوءِ، والصدَقةُ خَفِيّاً تُطفِيءُ غضبَ الرَّبِّ، وصِلةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في العُمرِ، وكلُّ معروفٍ صدقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدُّنيا هُم أهلُ المعروفِ في الآخِرةِ»(٧٦).

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أفْضلُ الأعْمالِ إدْخالُ السُّرورِ على المؤمِنِ؛ كَسَوْتَ عَوْرَتَهُ، وأشْبَعْتَ جَوعَتَهُ، أو قَضَيْتَ لهُ حاجةً»(٧٧).

ولفهمِ السلف الدقيقِ وبعدِ النظرِ العميق، في الأدلة العامةِ والخاصةِ بتأصيلاتها الشرعية، انعكس ذلك على مجرياتِ حياتِهم العملية، كما في القصة التالية:

بعث الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قوماً من أصحابه في قضاءِ حاجةٍ لرجلٍ وقال لهم: مُرُّوا بثابتٍ البُناني، فخذوه معكم، فأَتوا ثابتاً، فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمش أما تعلمُ أنَّ مشيَك في حاجة أخيك المسلم خيرٌ لك من حَجةٍ بعد حَجة؟ فرجعوا إلى ثابتٍ، فترك اعتكافَه، وذهبَ معهم(٧٨).

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٧٦) صحيح الترغيب برقم ٨٩٠.
(٧٧) صحيح الترغيب برقم ٢٦٢١.
(٧٨) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٤).

المحطة التاسعة عشر

رمضان مجمع البركات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعدَ الله أوقاتكم باليُمن والبركة والطاعة والبر.

فإنَّ من معاني هذا الشهرِ المباركِ أَنَّهُ مجمعُ البركاتِ ومنبعُ الخيرات، ففيه من الطاعات والقربات والصالحات والعبادات ما لا توجدُ في غيره.

البركةُ عبارةٌ وكلمةٌ جميلةٌ رائعةٌ لها معانٍ طيبةٌ يتمناها الجميع، والبركةُ هي الزيادةُ والنماءُ وكثرةُ الخير وهناءُ العيش والكفايةُ في كل شيء.

والبركةُ: هي ثبوتُ الخير الإلهي في الشيء؛ فإنها إذا حلَّت في قليلٍ كثَّرتهُ، وإذا حلَّت في كثيرٍ نَفَع، ومِن أعظمِ ثمارِ البركةِ في الأمورِ كلِّها استعمالُها في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً بارك له في رزقهِ ووقتهِ وعملهِ وذريتهِ وعلمهِ وطاعتهِ وسائر أحواله.

والبركاتُ تكاثرت وتجمَّعت وتنوعت في هذا الشهر المبارك:

١ - فهو شهر مبارك:

كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَتَاكُم شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ»(٧٩).

(٧٩) صحيح الترغيب برقم ٩٩٩.

٢- فيه ليلةٌ مباركة:

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٣-٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان: ٣].

٣- أَنزَلَ اللهُ فيه كتاباً مباركاً:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٤- طعامُه مبارك:

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «البَرَكةُ في ثلاثةٍ: في الجَماعَةِ، والثَّرِيدِ، والسُّحُورِ»(٨٠).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»(٨١).

٥- الأجواءُ مباركة:

فأبوابُ الجنةِ تُفتَح وأبوابُ النارِ تُغلق والشياطين تُصَفَّد.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إذا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»(٨٢).

٦- كثرةُ الأجور:

فإنَّ أجرَ الصيامِ اختصَّهُ اللهُ عندَه، وفضلُ الله عظيم، ومن صام رمضانَ وقامَه وقامَ ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، وفي كل ليلةٍ عتقاءُ من النار،

(٨٠) صحيح الجامع برقم ٢٨٨٢.
(٨١) متفق عليه.
(٨٢) متفق عليه.

وفيه إجابةُ الدعاء، وكثرةُ الروحانيات والإيمانيات، والعمرةُ فيه تعدلُ حجة، وغيرها من الأجور التي تحصد في هذا الشهر المبارك.

٧- أبوابُ الخير فيه متوافرةٌ من الطاعات والعبادات والقربات والنفقات.

أيها الأحبة: البركةُ أملٌ وعمل.. هدفٌ وطموحٌ، ولكن حتى نصل إليها، لابدَّ من جدٍ واجتهادٍ وتحقيقٍ لمقتضياتِها وموجباتِها وأسبابِها ومقدماتِها، وهي كثيرةٌ يجمعُها سلوكُ طريقِ الرشادِ والاستقامة.

نسأل الله الكريم أن يبارك لنا في أوقاتنا، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه.

إلى أن نلقاكم ومحطة جديدة نترككم في رعاية الله وحفظه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحطة العشرون

رمضان وتحمل المسؤولية

الحمد لله الذي امتن علينا بشهر رمضان، وأفاض علينا فيه بالكثير من الفضل والامتنان، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا محمد وعلى آله وصحابته الكرام، وبعد:

يتجدد اللقاءُ معكم، في تلك المحطات الرمضانية، مع وقفةٍ جديدةٍ وبرقيةٍ نافعةٍ مفيدةٍ بإذن الله تعالى.

فمن المعاني الجليلةِ التي تَظهرُ واضحةً في هذا الشهر العظيم، والتي ينبغي أن يقفَ عندها المسلمُ متأملاً مستنبطاً حكمةً من حِكَم هذا الموسم الفريد من نوعه؛ إذ تتجلى في هذا الشهر عدةُ عباداتٍ من أعظمِها الصيام، وعندما يتركُ العبدُ الطعامَ والشرابَ وسائرَ المفطرات، بذلك يتساوى الغنيُّ والفقيرُ والكبيرُ والصغيرُ، وهنا تكمن تحمّل المسؤوليةِ باستشعار الأغنياءِ لأحوالِ الفقراء، والكبارِ لأحوال الصغار وهكذا.

كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا دخل العشرُ الأواخر، «شَدَّ مِئْزَرَهُ، وأَحْيَا لَيْلَهُ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ»(٨٣)، وهذا بابٌ من أبواب تحمل المسؤولية، «كلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتِهِ»(٨٤).

من أعظمِ المسؤولياتِ المترتبةِ على العبدِ في هذا الشهر تزكيةُ النفس، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ

(٨٣) أخرجه البخاري.
(٨٤) متفق عليه.

﴿خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس: ٧-١٠]، فالمسلم في شهرِ رمضانَ يتعاهدُ نفسَه يزكّيها ينمّيها يطهّرُها ينقّيها من الشوائب التي علقت بها، وإن لم يفعل ذلك ستبقى هذه النفسُ أمارةً بالسوء، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف: ٥٣].

من المسؤوليات المهمةِ أيضا تنقيةُ القلبِ وتطهيره من الأدران والشوائب، فإذا كانت التقوى من مقاصدِ الشهر العظيمة والتي أصلُها ينبعُ من القلب، فنحن مع مسؤوليةٍ عُظمى في رمضان لتعاهدِ هذا القلب وتحقيقِ الطمأنينةِ والانشراحِ والراحة والسكون.

من المسؤوليات المهمةِ مسؤوليةُ تربيةِ الأبناء، فعندما تُعَوِّدُ الطفلَ الصغيرَ على الصيام فأنت تحمِّلُه مسؤوليةَ الطاعةِ والعبادة، وهذه فرصةٌ لأن تصطَحِبَ معك الأبناءَ إلى المسجدِ في هذه الأجواءِ الروحانية الإيمانية لتعويدِه على أداءِ تلك الفريضةِ العظيمةِ في المساجد.

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

إنَّ قضيةَ تحمُّلِ المسؤوليةِ تبدأُ من نقطةٍ اسمها «الإدراكُ والوعي»، فبقدرِ تحصيلِ الإنسانِ لهما وخصوصاً الجوانبُ المتعلقةُ بالدينِ والعقيدةِ والتربيةِ والسلوكِ والإيمانِ والعلمِ والدعوةِ إلى الله وأن يحملَ هم الدين؛ بقدر تحمُّلِه المسؤوليةَ الملقاةَ على عاتقه، وشهرُ رمضانَ فرصةٌ مهمةٌ لذلك.

إذا تحققَ ذلك سينتقلُ العبدُ لتحمُّلِ مسؤوليةِ الأسرةِ وهكذا حتى يصبحَ المجتمعُ مثاليا، الكل يتحمَّلُ فيه المسؤوليةَ وهذه تبدأُ من الفرد، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٨٥)، فالناس صنفان في ذلك وهذا الشهرُ هو أعظمُ نقطةِ انطلاقٍ لخلقِ الوعيِ ثم تحمُّلِ المسؤولية.

(٨٥) أخرجه مسلم.

عندما تُخرِجُ زكاةَ الفطر «طُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ» هذه فيها تحمُّلٌ للمسؤولية، وهم بذلك يستشعرون حاجتَهم.

والمتأملُ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنةِ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَجِدُ أروعَ الصورِ وأجملَ المواقفِ لتحمُّلِ المسؤولية، من ذلك:

- تحمُّلُ امرأةِ عمرانَ للمسؤوليةِ تجاهَ بيتِ المقدسِ بنذرِها مولودَها خالصاً محرراً لخدمته.

- تحمُّلُ الهدهدِ للمسؤوليةِ عندما رأى أمةً يسجدون للشمسِ من دون الله، عندما رجع إلى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأخبرَه الخبر، وبسببِه أسلمت تلك الأمةُ بملوكِها وأُمَرائِها مع سليمان لله ربِ العالمين.

- النملةُ لما تحمَّلَت المسؤوليةَ وأنقذت قومَها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل: ١٨].

فالجميع عليه مسؤوليةٌ ينبغي تحمُّلُها تجاهَ الدينِ والأمةِ والمجتمع، وهذا الشهرُ المباركُ فرصةٌ لإحياءِ هذه القضية.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يتحمَّلون المسؤوليةَ على أتمِّ وجه، آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة الحادية والعشرون

ليلةُ القدر فرصةُ العمر

الحمد لله متمُّ النعم، عظيمُ الجودِ والكرم، والصلاةُ والسلامُ على النبي الأكرم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

تذكرةٌ جديدةٌ ونفحةٌ من نفحات هذا الشهر العظيم نافعةٌ مفيدة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرصةٌ لا تُقَدَّرُ بثمنٍ.. فرصةٌ لا يوفَّقُ لاستثمارها إلا سعيد.. ولا يُحرَمُ الخيرَ فيها إلا شقيٌ عنيد.. من عرف حقيقتَها سارعَ وبادرَ وبذلَ المزيد.. ومَن أهمَلَها نامَ وتكاسل ونَدِم الندمَ الشديد.. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧].

نَعمْ إنَّها فرصةُ العمر.. فاغتنمها يا رعاكَ الله في ساعاتِ ليلةِ القدر.. فهي من أعظمِ المننِ وأكبرِ النعم وأجلِّ المنح.. كيف لا وهي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ في الطاعةِ والعبادةِ والأجر.. ليلةٌ شريفةُ القدر.. نزل فيها كتابٌ ذو قدر.. وتتنزل فيها رحماتٌ ذات قدر.. وملائكةٌ ذوو قدر..

كيف لا تكون فرصةً ثمينةً عظيمةً والأجرُ فيها خيرٌ وأعظمُ وأفضلُ وأكثرُ من ألف شهر، وهذا يحتاجُ منَّا لكبيرِ تأملٍ وتمعّن، والله إنَّها رحمةٌ ونعمةٌ عظيمةٌ ومِنَّةٌ لا توازيها منة، فلو كان الأجرُ يعادلُ عبادةَ ألفِ شهرٍ لكَان خيراً وفيرا، فكيف وهو « خيرٌ من ألف شهر» هل استشعرتم تلك الرحمات والبركات؟

يقول السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، أي: تعادل من فضلها ألفَ شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خيرٌ من العمل في ألف شهر خاليةٍ منها، وهذا مما تتحيَّرُ فيه الألباب، وتندهشُ له العقول، حيث مَنّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على هذه الأمةِ الضعيفةِ القوةِ والقوى، بليلةٍ يكون العملُ فيها يقابلُ ويزيدُ على ألف شهر، عُمرُ رجلٍ مُعَمِّرٍ عمراً طويلاً نيفًا وثمانين سنة.

تخيَّل طيلةَ عمرِكَ الخمسين أو الستين أو السبعين سنة، كم ركعةٍ صليت؟ وكم فريضةٍ أديت؟ وكم نافلةٍ فعلت؟ وكم درهمٍ ودينارٍ أنفقت وتصدقت؟ وغيرِها من الدعاءِ والثناءِ وحسنِ الالتجاءِ لربِ الأرض والسماء؟

هل أنت من القانتين الصادقين الخاشعين المستغفرين بالأسحار؟ أم أنَّك من المقصرين المفرطين المضيعين أوقاتَهم بالليل والنهار؟ أياً ما تكونُ فأمامَك فرصةٌ قد يحولُ الموتُ بينَك وبينَها مرةً أخرى!! فنحن على موعدٍ مع ليلةٍ مباركة، خيرُها كثيرٌ وفضلُها منقطعُ النظير، فأين المشمِّرون والتجارُ الحقيقيون؟! ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

ليلةٌ لِعِظَمِ منزلتِها أنزلَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فيها القرآنَ العظيم، أفلا تكون فرصةَ العمر؟ ليلةٌ تكونُ الملائكةُ فيها أكثرَ من عدد الحصى، كما ثبت في الحديث الصحيح(٨٦)، وهذا يدلُّ على كثرةِ البركةِ والخيرِ والرحمةِ فيها، لأن الملائكةَ تَتَنَزَّلُ عند تلاوةِ القرآن ويضعون أجنحتَهم لطالب العلم رضاً بما يصنع.

تأمل أخي الحبيب ضعفَنا وقلةَ حيلتِنا، مهما بذلنَا وتقرَّبنا إلى الله بمختلفِ الطاعات والعبادات، فلن نصِلَ إلى لحظاتٍ نؤدِّي فيها مختلفَ القرباتِ في تلك

(٨٦) السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٠٥.

الساعاتِ المباركات، فركعةٌ فيها تعدلُ أجرَ ركعاتٍ طيلة ألفِ شهر، ودرهمٌ تتصدقُ بِه على مسكينٍ كأنَّك تصدقتَ بدراهمَ متواصلةٍ دون انقطاعٍ طيلةَ ألفِ شهر، وهكذا التسبيحُ والاستغفارُ والصلاةُ على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وتلاوةُ القرآن، وإطعامُ الطعام وهكذا سائر الصالحات.

تخيَّلُوا لو أنَّ متجراً كبيراً مشهوراً عَمِلَ عرضاً على سلعةٍ قيمتُها (عشرةُ دنانير)، والعرضُ ساري خلالَ العشرِ الأواخرِ من رمضان على أن يتوافقَ الشراءُ مع ساعاتٍ معينةٍ في ليلةٍ محددةٍ يعرفُها صاحبُ المتجرِ فقط، فمن يشتري هذه السلعةَ يُعطى ألف قطعةٍ إضافية، فكيف سيكون حالُ الناسِ وإقبالُهم على هذا المتجرِ وهذه السلعةِ طيلةَ العشرِ أَلن يحصلَ رباطٌ وتحملٌ وطولُ انتظار؟!

هذا المثلُ في فائدةٍ دنيويةٍ متحققةِ الربحِ والمنفعة، فكيف بسويعاتٍ لعرضٍ مغرٍ جداً وفرصةٍ لن تُعوَّض، فيها تجارة لن تبور من خيري الدنيا والآخرة، فهل من مشمر؟!

اللهم اجعلنا ممن وُفِّقَ لقيامِ ليلةِ القدر، فأَجزَلتَ له المثوبةَ والأجر، وغَفَرتَ له الزللَ والوزر.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحطة الثانية والعشرون

رمضانُ شهرُ الجودِ والبذل

الحمد لله جليلِ النعم، باعثِ الهمم، ذي الجود والكرم ثم الصلاةُ والسلامُ التامان الأكملان على خير البرية وأزكى البشرية، محمدِ بنِ عبدِ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

رمضانُ شهرُ الجودِ والعطاء، والبذلِ والإنفاقِ والسخاء، إذ يتسارعُ فيه أهلُ الخيرِ ويتسابقون في النفقات والصدقات والزكوات، متأسِّينَ بنبيِّ الرحمة والكرم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

يقول عبدُ الله بنُ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»(٨٧).

الصدقةُ في هذا الشهر شأنُها عظيمٌ وأجرُها جزيلٌ لشرفِ الزمان، وإعانةٍ للمحتاجين بقضاءِ حوائجِهم من تنفيسِ الكربات وتفريجِ الهموم وإدخالِ السرورِ وقضاءِ الديون وإشباعِ الجوعى.

قال بعض السلف: الصلاةُ تُوصِلُ صاحبَها إلى نصفِ الطريقِ، والصيامُ يُوصِلُهُ إلى بابِ الملكِ، والصدقةُ تأخذُ بيدِهِ فتدخلُه على الملك(٨٨).

(٨٧) متفق عليه.

(٨٨) لطائف المعارف ص١٦٧.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بذلُ المجهودِ في بذل الموجود منتهى الجود.

إنَّ الجمعَ بين الصيامِ والصدقةِ أبلغُ في تكفيرِ الخطايا والعتقِ من النار وتحصيلِ الأجور، قال ابن أبي الجعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الصدقةَ لَتَدفعُ سبعين باباً من السوء.

ومن روائع الصدقةِ، كان عبد الله بنُ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يتصدق بالسُّكَّرِ ويقول: سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، والله يعلم أني أُحِبُّ السُّكَّر.

وقيل لحكيم أيُّ فعلٍ للبَشَر أشبه بفعل الباري تعالى، فقال: الجُود.

اعلم حفظك اللهُ أنَّ الصدقةَ والإنفاقَ في سبيل الله أسهلُ طريقٍ للسعادةِ وأقصرُ طريقٍ للجنة، فإن لم تبادر في هذا الشهر فمتى تبادر؟! واعلم أنه لم تُستجلَبُ نِعمُ الله قطُّ وإكرامُه بمِثلِ الجودِ وإكرامِ الخلق.

يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المنافقون: ١٠].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحِبُّ للرجلِ الزيادةَ بالجودِ في شهر رمضان، اقتداءً برسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولحاجةِ الناسِ فيه إلى مصالحهم، ولتشاغُلِ كثيرٍ منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم(٨٩).

وقال جعفر بن محمَّد الصَّادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ لله وجوهاً مِن خلقه، خلقهم لقضاءِ حوائجِ عباده، يرون الجُودَ مَجداً، والإفضالَ مَغنمًا، واللهُ يُحِبُّ مكارمَ الأخلاق(٩٠).

---

(٨٩) معرفة السنن والآثار للبيهقي (٦/ ٣٨١).
(٩٠) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٤/ ٣٧٥).

واعلموا حفظكم اللهُ: أنَّ الكَرَمَ والجودَ والبذلَ بركةٌ للمال، فقد أخرج البخاري ومسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما مِن يوم يُصْبحُ العِبادُ فيهِ إلا مَلَكانِ يَنزلانِ، فيقولُ أحَدُهُما: اللهمَّ أعط مُنفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخَرُ: اللهمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق، فإنها لا تبقى، وأنشد يقول:

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهْـيَ مُقْبِلَةٌ ... فَلَيْسَ ينقصها التبذير والسرف

وَإِن تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُـودَ بِهَا ... فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذا مَا أَدْبَـرَتْ خَلَفُ

اللهم اجعلنا من المُنفقين في سبيلك الباذلين ابتغاء مرضاتك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة الثالثة والعشرون

رمضان وحفظ اللسان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

أسعد الله أوقاتَكم بالطاعة والبركة والمسرات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من معاني هذا الشهرِ العظيم، أنه معسكرٌ تدريبيٌّ، ومدرسةٌ نموذجية، وواحةٌ إيمانية، لحفظِ اللسان، وصيانتِه من الباطل واللغوِ والكلامِ الفاحش والبذيء، واستثمارِه بذكرِ الله وتلاوةِ القرآنِ والدعاء، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، وتعليمِ الناس الخير.

هذا العضوُ نعمةٌ عظيمةٌ ومنةٌ جليلة، مع صِغَرِ حجمهِ إِلَّا أَن ثمرَتَه عظيمةٌ لمن علم وفقه وعقل، وجُرمُهُ كبيرٌ لمن أطلق له العنانَ وصار أسيراً للسان! فهو سلاحٌ ذو حدين!

بل جعل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، المعيارَ والمقياسَ والفيصل، بين الصيامِ الحقيقيِّ والصيامِ الصوري؛ حفظَ اللسان وضبطَه عن قول الزور والباطل، حيث يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن لَم يدَع قَولَ الزُّورِ والعمَلَ بِه والجَهلَ، فليسَ للهِ حاجَةٌ أن يدَعَ طعامَه وشرابَهُ»(٩١).

(٩١) أخرجه البخاري.

قال المهلَّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه دليلٌ أنَّ حِكمَ الصيامِ الإمساكُ عن الرفث وقولِ الزور، كما يمسكُ عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تَنَقَّصَ صيامُه وتعرَّضَ لسخطِ ربِّه وتَرَكَ قبولَه منه(٩٢).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأعمال الصالحة لها مقصودان: حصولُ الثواب، واندفاعُ العقاب، فإذا فعلها مع المنهيات من الغيبةِ والنميمةِ وأكلِ الحرام وغيرِه فاته الثواب(٩٣).

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا بد من ملازمةِ الصمتِ عن الكلام الفاحش والغيبة، فإنه ما صام من ظل يأكلُ لحومَ الناس(٩٤).

رمضانُ فعلا فرصةٌ حقيقيةٌ لحفظِ اللسانِ وإيقافِهِ عند حده، وعدمِ إطلاقِ العنانِ له في كل ما يشتهي من الحديث، فالسعيدُ المفلحُ من خرج من هذا الشهر بلسانٍ منضبطٍ وكلامٍ محسوبٍ مسدد.

قَالَ عَبْدُ اللهَّ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَاللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ(٩٥).

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ، عَنِ الْكَذِبِ، وَالْمَحَارِمِ(٩٦).

وقد حذرَنا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خطورةِ اللسانِ في غيرِ ما آية، وأكثرَ وفصَّلَ بدقةٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيانَ خطورةِ اللسانِ وآثارِهِ الوخيمة، في الدنيا والآخرة، وقد اعتنى السلفُ الصالحُ به عنايةً بالغةً وجاهدوا أنفسَهم كثيراً لحفظه والتواصي بذلك.

(٩٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣).
(٩٣) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٣).
(٩٤) التبصرة (٢/ ٧٤).
(٩٥) الزهد لوكيع ص٥٤٨.
(٩٦) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٢٤٧).

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(٩٧).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ آخِذًا بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: بِاللِّسَانِ: قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ أَوِ اصْمُتْ تَسْلَمْ قَبْلَ أَنْ تَنَدَّمَ(٩٨).

فاللسانُ خطرُه عظيمٌ وضرَرُه جسيم، إن لم يتعاهدْه العبدُ ويحفظْه من فضولِ الكلام والقيل والقال، فضلاً عن الآفات؛ فإنه يزلُّ ويضل ويهوي بصاحبه أسفلَ الدركات عياذاً بالله.

ولله درُّ القائل:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ... لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

وختاماً أيها الصائمون: اعلموا حفظكم اللهُ أَنَّ في القولِ الحسنِ السديد، والكلامِ الطيبِ الجميل، الفوزَ والفلاحَ والنجاحَ والصلاحَ في الدنيا والآخرة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللهم اصرف عنا سوءَ الأقوالِ والأعمالِ والأخلاق، واحفظ ألسنتنا من الآفات، واغفر لنا الزلات، إنك سميع مجيب الدعوات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(٩٧) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٩٨) الزهد لأحمد بن حنبل ص١٥٤.

المحطة الرابعة والعشرون

رمضان وحفظ الوقت

الحمد لله الذي أَمَرَنا باغتنام الأوقات في أداء الطاعات وعمل الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وعلى آله وصحابته أولي الفضل والمكرمات، وبعد:

أسعد الله أوقاتَكم بالطاعات والبركات والخيرات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من أعظم ثمارِ هذا الشهرِ الكريم، أنه أفضلُ دورةٍ تدريبيةٍ لفنِّ إدارةِ الوقت، وحفظِه واستثمارِه بشكلٍ دقيق ونافع، فلا ينتظرُ الناسُ رؤيةَ هلالِ شهرٍ كرمضان، فمعرفةُ بدايةِ الشهرِ وترقُّبُهُ بدايةٌ عمليةٌ تنظيمية لترتيب أوقات المسلم فيما يأتي من أيام.

الوقتُ رأسُ مالِ المسلمِ في هذه الدنيا، وهو أنفسُ من المال وأغلى من الذهبِ والفضة، والوقتُ كالنفَسِ سريعُ الانقضاءِ عديمُ الرجوع، فيا لَخسارةَ من أضاع وقتَه في الغفلة والملهيات، وفرَّطَ في طاعةِ ربِّ الأرض والسماوات.

إنَّ إدارةَ الوقتِ في رمضان تختلفُ عن سائرِ الشهور، إذ يبدأُ الصائمُ تحرِّي وقتِ الإمساكِ عند الفجر، ثم وقتِ الإفطارِ عند الغروب، ثم وقتِ صلاةِ التراويح، ووقتِ السحور، فيصبحُ لديه مَلكةٌ شيئاً فشيئاً وإتقانٌ لبرمجةِ أوقاتِه طيلةَ شهرٍ كامل، فيكونُ مؤهلاً لأن ينظِّمَ ويرتبَ أوقاتَه ويحافظَ عليها بالخير طيلةَ العام لو استشعر ماذا يفعل.

تزدادُ قيمةُ وأهميةُ الحفاظِ على الوقت في رمضان، كونه موسماً من مواسم الحصاد والخيرات، يقول أحدُ الصالحين: العمرُ قصيرٌ فلا تقصِّره بالغفلة!

ويقولُ أحدُ الصالحين: إضاعةُ الوقتِ من علامات المقت.

الوقتُ عظَّمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأقسم به في غير ما سورةٍ وآية، من ذلك:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

ولأهميةِ الوقتِ حث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في غير ما حديث على ضرورةِ المحافظةِ عليه، إذ يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعمتانِ مغْبونٌ فيهما كَثيرٌ مِن النّاس: الصِّحَّةُ والفَراغُ»(٩٩)، فالعمرُ كنزٌ من أنفقه واستثمره في طاعة الله وَجَدَهُ يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون، ومن أضاعَه في الغفلةِ والملهيات نَدِمَ وخَسِرَ وقال: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

دَقّــاتُ قــلــبِ المــرءِ قائلةٌ لَــهُ ... إنّ الحــيــاةَ دقــائــقٌ وثَــــوانِ

فارفع لنفسِكَ قبل موتكَ ذِكْرَها ... فــالــذكــرُ لــلإنــســان عــمــرٌ ثــانٍ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: كما أنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ، فَاعْمَلْ فِيهِمَا(١٠٠).

ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهِمِكم ودنانِيرِكم(١٠١).

ينبغي أن يكونَ شهرُ رمضان منطلقاً لتنظيم أوقاتِنا، فيما سواه من الشهور، والمبادرةِ بالأعمال الصالحة وتقديمِها على اللهو واللغو واللعب، عسى أن ننالَ رضى الرحمن، والفوزَ بالجنان.

---

(٩٩) أخرجه البخاري.

(١٠٠) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٢٩.

(١٠١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (٣/ ٢٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِضَاعَةُ الْوَقْتِ أَشدُّ من الْمَوْتِ، لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْت تقطعُكَ عَن الله وَالدَّارِ الْآخِرَة، وَالْمَوْتُ يقطعُك عَن الدُّنْيَا وَأَهْلهَا(١٠٢).

وكَانَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَشْرَبُ الْفَتِيتَ وَلَا يَأْكُلُ الْخُبْزَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً(١٠٣).

إنّ استغلالَ واستثمارِ الوقت، وإدارتَه بأتمِّ وجه، يحتاجُ لنيةٍ صادقةٍ وهمةٍ قويةٍ وإرادةٍ ومثابرة، مع توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يا مُذهبا ساعات عُمرٍ ما لها ... عــوضٌ ولـيـس لفوتها إرجــاعُ
أنفقتَ عمرك في الخسار وإنه ... عــمــلٌ ستــأتي بـعـده أوجــاعُ

اللهم اجعلنا ممَّن أدخلتَهم مُدخَلَ صدقٍ وأخرجتَهم مُخرجَ صدق، واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١٠٢) الفوائد ص٣١.
(١٠٣) المجالسة وجواهر العلم (١/ ٣٤٦).

المحطة الخامسة والعشرون

رمضان والعمل بالعلم

الحمد لله الذي جمَّلنا بالعلم النافع، وزكّانا بالعمل الصالح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، خَيرَ مَن عَلِمَ وعَمِل، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمع محطةٍ مهمة ووقفةٍ عظيمة، لما لها من الأَثَرِ المترتبِ والفوز والفلاح.

أحبابنا الأكارم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من معاني وثمارِ وفوائدِ هذا الشهر، الذي يحرص فيه المسلم على الجد والاجتهاد والطاعة والعمل الصالح؛ أنّ الفجوةَ بين القوة العلمية والقوة العملية تتقلّصُ وتصغُر، في إشارةٍ واضحة لارتفاع منسوبِ العمل عما هو عليه قبل رمضان.

فعندما يواظب العبدُ على الصلوات والصيام والنفقات والصبر وسائرِ الطاعات، فإنه يوطِّنُ نفسَه ويهذِّبُها للثبات على ذلك بعد رمضان، فيتخلصُ بذلك من مرضٍ خطيرٍ وشرٍ مستطيرٍ هو « عدم العمل بالعلم» الذي يُعرف « بالنفاق الاجتماعي» و « الفصام والازدواجية»!

فإنَّ العلمَ شجرةٌ والعملَ ثمرة، وليس يُعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، وقيل: العلمُ والدٌ والعملُ مولود، والعلمُ مع العمل، والروايةُ مع الدراية.. ورأسُ الفقهِ العملُ بالعلم، فلا تأنسُ بالعمل ما دمتَ مستوحشاً من العلم، ولا تأنسُ بالعلم ماكنت مقصراً في العمل[١٠٤].

(١٠٤) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص١٤

ومع أهمية العلم وطلبِهِ والتزودِ منه، إلا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رتَّبَ دخولَ الجنةِ على العمل لا على مجردِ العلم:

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٩٤]، روي عن أبي جعفر محمد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: قومٌ وصفوا الحقَ والعدلَ بألسنتِهم، وخالفوه إلى غيره(١٠٥).

ولأهميةِ وضرورةِ العملِ بالعلمِ وخطورةِ مخالفةِ ذلك، حذَّر النبيُّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من عدم العمل بالعلم، إذ يقول: «عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ»(١٠٦).

كان أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُوَنِي عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيَقُولُ لِي: يَا عُوَيْمِرُ، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، فَيَقُولُ لِي: مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟(١٠٧)

اعلموا وفقكم الله لطاعته: أنَّ العلمَ ليس مقصوداً لذاته، مع ما فيه من نفع وفضلٍ وخير، بل هو وسيلةٌ يُتوصلُ بها لخيري الدنيا والآخرة، لذلك رتَّبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دخول الجنة على العمل لا مجرد العلم.

---

(١٠٥) تفسير القرطبي (١/ ٢٠).
(١٠٦) صحيح الجامع برقم ٤٠٢٤.
(١٠٧) صحيح الترغيب برقم ١٢٩.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ الْعِلْمَ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ، وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا بِالْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ(١٠٨).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَلِمْتَ فَاعْمَلْ.

وقال ابن السَّمَّاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتب رجلٌ إلى أخٍ له: يا أخي إنك قد أوتيت علماً فلا تطفيّن نورَ علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم(١٠٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلمُ إمامُ العملِ وقائدٌ له، والعملُ تابعٌ له ومؤتمٌ به(١١٠).

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه ويعملون به، نترككم في رعاية الله وحفظه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١٠٨) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (١/ ٨٨).
(١٠٩) مشيخة ابن جماعة ص٣٧٧.
(١١٠) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٢).

المحطة السادسة والعشرون

رمضان والهمة العالية

الحمد لله الكريم الجوادِ، المتفردِ بالخلق والإيجاد، يسمعُ السرَّ والنجوى ويهدي إلى سبيل الرشاد، وأُصَلِّي وأسلِّم على صفيِّه وخليله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

أحييكم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتَكم بالطاعة والرضا والقبول.

في هذا الشهر المبارك تعلو الهممُ وتنشطُ الأبدان، وتتنوعُ الطاعاتُ والعباداتُ مع الجد والنشاط وتختلف عن سائر الشهور، مما يثمرُ عن ذلك توطينَ النفسِ على اكتساب معالي الأمورِ ودوامَ الهممِ نحو القمم.

قال أحد الصالحين: هِمَّتُكَ فاحفظها، فإنَّ الهمةَ مُقدِّمةُ الأشياء، فمن صَلَحَت لهُ همَّتُه وصدق فيها، صَلَح له ما وراءَ ذلك من الأعمال.

من مقتضيات وموجبات الهمةِ العاليةِ في هذا الشهر قوله عليه الصلاة والسلام: إنَّ لله عتقاءَ في كلِّ يوم وليلة، لكلِّ عبدٍ منهم دعوةٌ مستجابة(١١١).

هذا الوعدُ بهذا الكسب العظيم يَشْحَذُ هِمَمَ الصائمين للتسابقِ إلى إحسانِ عبادتهم، وإخلاصِ صيامهم، وعِمارة أوقاتِهم بما يزيدُ قُرْبَهم من ربهم، عسى أن يفوزوا بكَرَمه بالعتق من النار.

(١١١) صحيح الجامع برقم ٢١٦٩.

وقد حثَّ نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في غير ما حديث على علو الهمة والارتقاء في المطالب، والترفعِ عن سفاسفِ الأمور والابتعادِ عن أحوال الكسالى والبطّالين، من ذلك قولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فإذا سألتم اللهَ فسلُوهُ الفردوسَ، فإنَّهُ أوسطُ الجنةِ، وأعلى الجنةِ، وفوقَه عرشُ الرحمنِ، ومنه تَفجَّرُ أنهارُ الجنةِ»(١١٢).

يُذكَرُ أنَّ أبا جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمارُ قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة.

ثم قَالَ: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم(١١٣).

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١١٤).

إنَّ علوَّ الهمة من الصفات المهمة، والهمم العالية كالكنوز الغالية، وضعفَ الهمةِ كارثةُ الكوارث ومصيبةُ المصائب.

---

(١١٢) أخرجه البخاري.
(١١٣) تاريخ بغداد (٢/ ٥٤٨).
(١١٤) أخرجه مسلم.

وقيل: رجلٌ ذو همةٍ يُحيِي أُمّة، ذلك لأن حياةَ الأُمّة تكمن في همم الرجال وعزيمتهم، فمن جَدَّ وَجَدَ ومن زرع حصد، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم، ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر.

فلتكن همُمنا بعد رمضان كهمَّتِنا في رمضان.. فما هذا الشهر إلا تأهيلٌ وتوطينٌ وتدريب ونقطةُ انطلاقٍ لمعالي الأمور للارتقاء والوصول إلى العلياء.

اللهم اجعل طلبنا وغايتنا رضاك والجنة، وأعلِ هممنا، وقوِّ عزائمنا، اللهم ثبتنا على الحق يا رب العالمين، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المحطة السابعة والعشرون

مع نهاية رمضان

الحمد لله يقلّب الليلَ والنهار، ويُمْضِي الشهورَ والأعوامَ لتعلموا عددَ السنينَ والحساب، والصلاة والسلام على النبيِّ المصطفى والإمامِ المجتبى، وعلى آله وصحبه أهلِ البرِ والتقوى، ومن تبعهم بإحسان واقتفى، وبعد.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فحياكم الله في محطةٍ جديدة ووقفةٍ تذكيرية مع اقترابنا من نهاية وانقضاء هذا الشهر الفضيل.

ها نحن قد شارفنا على انقضاء شهرِ رمضان، شهرِ التوبة والإنابة والغفران، شهرِ الخير والعبادة والرضوان، شهرِ الصيام والقيام والقرآن، شهرِ الخيرات والبركات، وحصادِ الحسنات واجتناب السيئات، شهرِ الطاعات والأعمال الصالحات، شهرِ النفحات والإيمانيات والروحانيات.

إن في رحيلِ رمضان عبرةٌ لمن رزقه اللهُ الاعتبار، ومحنةٌ لمن ضيَّع أوقاتَه دون اغتنام واستثمار، ومنحةٌ لمن أعانه الله على تحقيق ما فيه من ثمار، ومِنَّةٌ عظيمةٌ لمن داوم بعده على الطاعات وأكثرَ من الاستغفار، وموعظةٌ بليغة لمن حاسب نفسَه فخشي يومَ القرار، ودعا ربَّه أن يُدخلَه الجنةَ مع المتقين الأبرار.

سنفارقُ هذا الشهرَ وفي قلوبنا غصةٌ وعَبَرات، كما فارقنا كثيراً من الأحباب لَمَّا نزل بهم هادمُ اللذات، وهذا حالُ الدنيا لا تدومُ لأحدٍ فيها المسرات، والسعيدُ من رُزق فيها التوفيقَ والسدادَ والإخلاص والأعمال الصالحات، ولم يغتر بما فيها من ملذاتٍ وشهواتٍ وملهيات.

إنَّ هذه الدنيا مثلُ رمضان، تمضي بملذاتِها وشهواتها، وتَعبِها ونَصبِها، فكلٌّ يجدُ ما قَدَّمَ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وينسى ذلك التعبَ والنصبَ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: ١١٠].

إنَّ من أعظمِ المصائبِ وأكبرِ الخسران، أن يعودَ المرءُ بعد الربحِ والغنيمةِ خاسراً مُدبرا، وبعد المسارعةِ إلى الخيراتِ وعمران المساجدِ بالتلاوات والطاعات معرضاً مبتعدا، فهذا مؤشرٌ خطير وداءٌ مستطير وبلاءٌ ما بعده بلاء، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال: ٢٤].

أيها المؤمنون: لنُصلِحْ نيَّاتِنا ومقاصدَنا ولنستشعرْ أنَّنا مهما فعلنا وبذلنا وأدَّينا، فإنّنا مقصرون مفرطون، ولنكن على خوفٍ ووجلٍ ألّا تُقبَلَ أعمالنا، لأنّ مِن صالح الختام الضراعةَ إلى الله بسؤال القبول، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، ولما سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قول ربنا جَلَّ وَعَلَا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ، وَهُم يخافونَ أن لا تُقبَلَ منهُم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

يروى عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧].

وجَاءَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لِابْنِهِ: أَعْطِهِ دِينَارًا فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ تَقَبَّلَ اللهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَتَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللهُ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧].

رمضانُ أجملُ دورةٍ تدريبية على مدار العام، وأنجحُ معسكرٍ لمن جاهدَ نفسَه وعزمَ على الثبات والاستقامة والدوام، وأروعُ مدرسةٍ تبني القادةَ والقُدوات والأعلام، فَمَن اغتَرَفَ من نهره الجاري، وقطفَ ثمارَه وتجول في بستانه، واستوعب مكنوناتِه وعرف أسرارَه؛ يقيناً سينعكس ذلك على روحه وقلبه وجوارحه بعد انقضاءه.

الكريمُ من يُودِّعُ ضيفَه بالإحسان وبخيرِ ختام، فمن كان محسناً أو مقصراً فليُحسِن الختامَ فإنما الأعمالُ بالخواتيم، والمؤمنُ الصادقُ المحبُّ لربه يفرحُ فيه لاستكمال العبادة والطاعة رجاءَ الثواب والقبول، إذ كنا بالأمس نذرفُ دموعَ الفرح لاستقباله، واليومَ تسيلُ دموعُ الحزنِ لرحيله!

لا تجعلْ رمضانَ موسمَكَ الوحيدَ للطاعات وفعلِ الخيرات، بل بين يديك مواسمَ تتكرر: الصلواتُ الخمس، وصيامُ الأيامِ البيض، والصدقاتُ العامة وأنفعُها الصدقة الجارية والأوقاف، وذكرُ الله بأيِّ وقتٍ وتلاوةُ القرآن، وبذلُ المعروف وأعمالُ الخير الكثيرة.

اللهم تقبل منا صالح القول والعمل.

اللهم اختم لنا شهرَنا بغفرانك والعتقِ من نيرانك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة الثامنة والعشرون

رمضان شهر التوبة والاستغفار

الحمد لله غافرِ الذنب وقابلِ التوب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ قدوةَ المستغفرين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أسعدَ اللهُ أوقاتَكم بالطاعة والتوبة والاستغفار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أفضل وأنفع ما يَختمُ به العبدُ هذا الشهرَ العظيم المبارك؛ توبةٌ صادقةٌ وإنابةٌ حيّةٌ وكثرةُ الاستغفار، فما بعد التمام إلا النقص، وما بعد البزوغ إلا الأفول، وما بعد الابتداء إلا الانتهاء.

التوبة والاستغفار هو طريق الأنبياء كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وداودَ وسليمان.

قال عَزَّوَجَلَّ عن نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢].

وعن داودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[الشعراء: ٨٢].

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ قبل أن يموتَ، وهو مُسْنَدٌ إلى صدرِها، وأصغت إليه وهو يقولَ: «اللهم! اغْفِرْ لي وارْحَمْني. وأَلْحِقْني بالرفيقِ»(١١٥).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «واللهِ إنِّي لَأستَغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ في اليومِ أَكْثرَ مِن سَبعينَ مرَّةً»(١١٦).

ولما صعَدَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المنبرَ فقال: «آمين، آمين، آمين». قيل: يا رسولَ الله إنك صعَدتَ المنبرَ فقلتَ: «آمين، آمين، آمين». فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنَّ جبرائيلَ عليه السلامُ أتاني فقال: من أدرك شهرَ رمضانَ فلم يُغفَرْ له فدخل النارَ فأبعدَه اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين»(١١٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ: هِيَ النَّدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ(١١٨).

التوبةُ واجبٌ إيمانيٌّ ونعمةٌ عظيمةٌ وعبادةٌ جليلة، فلنحرص عليها ولنكثر من الاستغفار، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[هود: ٣] .

ما أحوجَنا للاعتذار، فأكثروا من الاستغفار؛ فإنه ختامُ الأعمال الصالحة، وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الأمصار يأمرُهم بختم رمضانَ بالاستغفار وصدقةِ الفطر فإنَّ الفطرَ طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، والاستغفارُ يُرَقِّعُ ما تخرَّق من الصيام باللغو والرفث.

---

(١١٥) أخرجه مسلم.
(١١٦) أخرجه البخاري.
(١١٧) صحيح الترغيب برقم ٩٩٧.
(١١٨) مدارج السالكين (١/ ١٩٩).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْغِيبَةُ تَخْرُقُ الصِّيَامَ، وَالِاسْتِغْفَارُ يُرَقِّعه، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَأْتِيَ بِصَوْمٍ مُخَرَّقٍ فَلْيَفْعَلْ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّائِمُ إِذَا اغْتَابَ خُرِقَ، وَإِذَا اسْتَغْفَرَ رُقِّعَ.

نستغفرُ الله من جميع الذنوب والخطايا ونتوبُ إليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة التاسعة والعشرون

عيدية صائم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدينَ، وهدانا إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على النعمة المُسداة والرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ها نحن نقتربُ من نهايةِ هذا الشهرِ الفضيل، فنسأل الله أن يجعلَنا فيه من المرحومين الفائزين المقبولين المُعتقين من النار.

أيها المباركون: إن العيدَ مظهرٌ من مظاهر الدين، وشعيرةٌ من شعائره المعظمة، إذ يحملُ في طياته العديدَ من المعاني الجليلة والقيم النبيلة، لِمَا يَغشى النفوسَ من سموٍ وكمال وإحسانٍ وإفضال، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعيدُ هو موسمُ الفرح والسرور، وأفراحُ المؤمنين وسرورُهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثوابَ أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته.

العيدُ في الاصطلاح: اسمٌ لِمَا يعودُ من الاجتماع العام على وجهٍ معتاد، وهو مأخوذٌ من العَوْدِ وهو الرجوع والتكرار.

فلنحرصْ على اجتماع القلوبِ والألفة والمحبة الإيمانية قبل اجتماع الأبدان.

قال بعض السلف في خطبته يومَ عيد: أصبحتم زُهراً وأصبح الناس غُبرا، الناسُ يَنْسجُون وأنتم تلبسَون، وأصبح الناس يُعطُون وأنتم تأخذون، وأصبح الناس يُنتِجون وأنتم تركبون، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون، فبكى وأبكاهم[١١٩].

(١١٩) عدة الصابرين ص١٣٠.

كأن لسان حالنا ينطبق بما قاله أبو الطيب المتنبي في هجاءِه لكافور الإخشيدي حاكم مصر:

عيدٌ بِـأَيَّـةِ حَـالٍ عُـدتَ يا عِيدُ ... بما مَضَى أم بأمرٍ فيكَ تجديدُ!؟
بالخانقاتِ من الشكوى تؤرِّقني ... أم للبشائرِ في أذنيَّ تغريد؟
بالمورقاتِ من الآمـالِ اقطفُها ... مـنَ الـزمـانِ ومـا تَفنى العناقيد
بـخـافـقٍ لحـنُـه دنـيـا مُـفـرَدَة ... أم خـافـقٌ لحنُه هَـمٌّ وتَسهيد؟
بِمهجةٍ لا ينالُ الضَّيمُ حاملَها ... أم مهجةٌ دأبُهـا ذُلٌّ وتـأويـد؟
بلمِ شملٍ مع الخِـلانِ يَجمَعُني ... أم بـافـتراقٍ على عيني معقود؟

قال تلك الأبيات بعد انتقاله من حلبَ إلى مصر، ومدح كافورَ حاكمَ مصرَ من أجل المال والشهرة، ثم غضب عليه وطرده من مصر، ليقولَ به هذا الشعر هجاءً له، وما أشبه تلك الأبياتِ بواقعنا وأحوال المسلمين هذه الأيام نسأل الله السلامة والعافية.

من معاني العيد، الفرحُ والاستبشارُ والسرورُ والدعة، لكنَّ السعيدَ من فرح بفضل الله عليه ورحمته وتسديده لطاعته، وتوفيقه للاستقامة، لا كفرحِ الأشقياء المغرورين الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها.

يقول عَزَّوَجَلَّ مبيناً حقيقةَ السعادةِ والفرح والسرور: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨] .

بالمقابل يبين ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرحَ المغترِّين إذ يقول: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[القصص: ٧٦].

نسأل الله العافية والسلامة.

ومن معاني العيد شكرُ الله عَزَّوَجَلَّ على نعمةِ إدراكِ رمضان، وأن يسَّرَ لنا الصيام والقيام، قال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كن عَدَّاداً لنعم الله، فإنك إن أحصيتَها كنت قَمِناً أن تشكرَها، وإذا نسيتَها كنت قَمِناً أن تكفرَها.

السعيدُ من اغتنم مواسمَ الشهور والأيام والساعات، وتقَّربَ فيها إلى مولاه، بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبَه نفحةٌ من تلك النفحات، فيسعَد بها سعادةً يأمن بعدها من النار، وما فيها من النفحات.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وعافنا واعف عنا يا كريم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المحطة الثلاثون

من أحوال السلف بعد رمضان

الحمد لله ذي الجلالِ والجمال والكمال، والصلاة والسلام على أشرفِ خلقه النبيِّ المفضال، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم المآل، وبعد:

بالأمسِ القريب كُنَّا نتحدَّث عن قدوم رمضان، حتى حلَّ علينا ضيفًا عزيزًا كريمًا غاليًا حبيبًا إلى قلوبنا، مُفعمًا بالخيرات والبركات والطاعات والرحمات والحسنات، خفيفَ الظل عظيمَ الأجر جميلَ الذكر، فطوبى لمن أحسن ضيافتَه وكان فيه من المقبولين، ويا لَخسارةَ من ضيَّعَهُ فحُرِم الأجرَ وكان من المخذولين.

رمضانُ مدرسةُ الأجيال، ومعسكرٌ تدريبي، وجامعةٌ مفتوحة، ودورةٌ تأهيلية، فلا قيمةَ لطاعة وعبادةٍ تؤدَّى دون أن يظهرَ أثرُها علينا؛ من تقوى وخشيةٍ واستقامةٍ ومداومةٍ على الأعمال الصالحة، لأنَّ من استفاد من رمضانَ واغترفَ من نهره الجاري، وقطف ثمارَه وتجوَّلَ في بستانه، يقينًا يكونُ حالُه بعد رمضان خيراً له من قبله، فالحسنةُ تقول لأختها تعالي فلنتأمَّل.

المُتأمِّلُ لحال كثيرٍ من المسلمين بعد رمضان يجد العَجبَ العُجاب، فبعد الإقبالِ على الله وكثرةِ الطاعات والأجواءِ الإيمانية الرائعة، ينقسمُ الناسُ عدةَ أصناف، فالمُوفَّقُ والسعيدُ من استمر على طاعة الله والمحافظة على أداء الفرائض والاستزادةِ من النوافل والسنن، والابتعادِ عن المعاصي والمُحرَّمات.

صنفٌ آخر لم يكن لرمضانَ أيُّ أثرٍ أو بصمةٍ في حياتهم وسلوكهم، حتى صار صيامُه عادةً وصلاتُه روتين، بل بعضهم عياذًا بالله يكون عليه رمضانُ ثقيلاً جدًا يتمنى

انقضاءه ليعيثَ في الأرض فسادًا، ويرجعَ أسيرًا لشهواته وملذاته وشياطين الإنس والجن!

لنقف وقفةَ تأمُّلٍ لأحوال وأقوال السلف بعد رمضان، فنحتذي ونتشبّهُ بهم ونقتفي آثارَهم:

قيل لبشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقال: بئس القومُ لا يعرفون لله حقاً إلا في شهر رمضان، إنّ الصالحَ الذي يتعبد ويجتهدُ السنةَ كلها(١٢٠).

قال أبو مَنْصُورٍ الشِّيرَازِيَّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فِي مَجْلِسِهِ «بِالْحَرَمِ الْمَقدسِيَ» وْمَا الْعِيد: لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ غُرِفَ لَهُ إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ غُفِرَ لَهُ(١٢١).

مرَّ قومٌ براهب في دير فقالوا له: متى عيدُ أهلِ هذا الدير؟ قال: يومَ يُغفرُ لأهله(١٢٢).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ يومٍ لا يُعصى اللهُ فيه فهو عيد، كل يومٍ يقطعُه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد(١٢٣).

قال وكيع ابن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرجنا مع سفيانَ الثوري في يومِ عيد، فقال: إنّ أولَ ما نبدأ به في يومنا غضُّ أبصارنا(١٢٤).

قال معلى بن الفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يدعون الله تعالى ستةَ أشهر أن يبلِّغَهم رمضان، ويدعونه ستةَ أشهر أن يتقبَّلَ منهم(١٢٥).

---

(١٢٠) لطائف المعارف ص٢٢٢.
(١٢١) أخبار وتراجم أندلسية ص٩٣.
(١٢٢) لطائف المعارف ص٢٧٧.
(١٢٣) لطائف المعارف ص٢٧٨.
(١٢٤) الورع لابن أبي الدنيا ص٦٣.
(١٢٥) لطائف المعارف ص٦٣.

عن مُفَضَّلِ بْنِ لَاحِقٍ أبي بشرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ، يَخْطُبُ بَعْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَقُولُ: كَأَنَّ كَبِدًا لَمْ تَظْمَأْ، وَكَأَنَّ عَيْنًا لَمْ تَسْهَرْ، فَقَدْ ذَهَبَ الظَّمَأُ وَأُبْقِيَ الْأَجْرُ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمَقْبُولُ مِنَّا فَنُهَنِّئَهُ، وَمَنِ الْمَرْدُودُ مِنَّا فَنُعَزِّيَهُ؟ فَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَقْبُولُ فَهَنِيئًا هَنِيئًا، وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَرْدُودُ فَجَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَكَ. قَالَ: ثُمَّ يَبْكِي وَيُبْكِي[١٢٦].

كان السلفُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون لبعضهم بعد انتهاء رمضان: من المحرومُ في هذا الشهر؟ المحرومُ من حُرِمَ الخيرَ حقاً، المحرومُ من حُرِمَ دوامَ الطاعة حقاً.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم وأن يجعلنا من المرحومين العتقاءِ من النار، وأن لا يجعلنا من المحرومين...

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عيدكم مبارك وتقبل الله منا ومنكم.

---

(١٢٦) الصيام للفريابي ص٩٥.

تم بحمد الله

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المحطة الأولى: أهلا رمضان	٣
المحطة الثانية: رمضان جامع الأركان	٦
المحطة الثالثة: الصيام عبادة وليس عادة	٩
المحطة الرابعة: لعلكم تتقون	١٢
المحطة الخامسة: من فضائل الصيام	١٥
المحطة السادسة: خير الشهور وتجارة لن تبور	١٨
المحطة السابعة: رمضان شهر القرآن	٢١
المحطة الثامنة: رمضان شهر التميز	٢٤
المحطة التاسعة: الصوم وإصلاح النفوس	٢٧
المحطة العاشرة: رمضان شهر العبادات لا المأكولات!	٣٠
المحطة الحادية عشر: رمضان شهر الدعاء	٣٣
المحطة الثانية عشر: رمضان شهر التغيير	٣٦
المحطة الثالثة عشر: رمضان شهر الصبر	٣٩
المحطة الرابعة عشر: رمضان شهر الاستقامة	٤٢
المحطة الخامسة عشر: رمضان شهر البطولات	٤٥

الموضوع	الصفحة
المحطة السادسة عشر: رمضان شهر الاستسلام والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ	٤٨
المحطة السابعة عشر: رمضان شهر الإخلاص	٥١
المحطة الثامنة عشر: وافعلوا الخير لعلكم تفلحون	٥٤
المحطة التاسعة عشر: رمضان مجمع البركات	٥٧
المحطة العشرون: رمضان وتحمل المسؤولية	٦٠
المحطة الحادية والعشرون: ليلةُ القدر فرصةُ العمر	٦٣
المحطة الثانية والعشرون: رمضانُ شهرُ الجودِ والبذل	٦٦
المحطة الثالثة والعشرون: رمضان وحفظ اللسان	٦٩
المحطة الرابعة والعشرون: رمضان وحفظ الوقت	٧٢
المحطة الخامسة والعشرون: رمضان والعمل بالعلم	٧٥
المحطة السادسة والعشرون: رمضان والهمة العالية	٧٨
المحطة السابعة والعشرون: مع نهاية رمضان	٨١
المحطة الثامنة والعشرون: رمضان شهر التوبة والاستغفار	٨٤
المحطة التاسعة والعشرون: عيدية صائم	٨٧
المحطة الثلاثون: من أحوال السلف بعد رمضان	٩٠

Brothers
DESIGN
۱۷۲۹۲۰۰۸

25
1415
1993
الحد الخيرية

جمعية الحد الخيرية

Hidd charity society

مملكة البحرين

مشاريعنا

الوقف الخيري	مساعدات الزواج
إفطار الصائمين	البناء والترميم
كسوة العيد	مساعدات العلاج
عيدية يتيم	مساعدات الصيف
الزكاة والصدقات	الحقيبة المدرسية
سقيا الماء	الطالب الجامعي
الدعوة والإرشاد	خدمة القرآن الكريم
الإيجارات الشهرية	المركز النسائي

Tel.:+٩٧٣ ١٧٦٧١٧١٨, Fax: +٩٧٣ ١٧٦٧١٧١٨, P.O.Box: ٥٠٥١٥, Hidd, Bahrain - Email: hiddchair@batelco.com.bh

hiddcharity جمعية الحد الخيرية hiddcharity +٩٧٣ ٣٣٤٥٧٧٧١ www.hiddcharity.org